جهود الشيخ محمد عبده في الإلهيات من خلال كتابه: رسالة التوحيد

"دراسة تحليلية مقارنة"

إعــداد

د. محمد رشدي إبراهيم

الأستاذ المساعد في قسم العقيدة والفلسفة

بكلية البنات الإسلامية بأسيوط

١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى بيان رؤية الشيخ محمد عبده الفكرية والإصلاحية والتجديدية؛ لاسيما جهوده في الجانب الإلهي من حيث نظرته إلى العمل على إحياء العقيدة الصحيحة السليمة للمسلمين؛ إذ إنه رأى أن السبب الرئيس في تخلف العالم الإسلامي وتكالب العالم عليه هو تفرقهم وتشرذمهم، والدين الإسلامي ليس كذلك لأنه دين وحدة لا فرقة، كما كانت رؤيته منصبة على العودة إلى أصول الدين الصحيح ومنابعه الرئيسة، والعمل بأحكامه على ما كان في بداياته مما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية وما كان عليه السلف الصالح، وتهدف -أيضا- إلى بيان أن دعوة الإسلام موجهة إلى تحرير البشر من العبودية لغير الله تعالى، وذلك من خلال توحيده عز وجل وحده، حتى تتحرر العقول المضللة من التقليد ويفجرون طاقاتهم الإبداعية، لتعلم المجتمعات الإنسانية أن الإسلام ليس ديناً فقط، وإنما هو دين وأخلاق وثقافة وحضارة، وتم حصر الدراسة في رسالته المسماة برسالة التوحيد لكونها من الأعمال الجليلة للشيخ محمد عبده؛ كما أنها تناولت عقيدة الألوهية بصورة سلسة ومبسطة دون التعرض لاختلاف الفرق الإسلامية فيها، وتوصل البحث إلى أن رسالة التوحيد تُعد من أهم وأبرز مؤلفات الشيخ محمد عبده، ومن خلالها يتبين أنه صاحب خلفية دينية واسعة ومتميزة، وفكر كلامي مستنير، وكذلك أن الشيخ محمد عبده في رسالته قد عُني عناية كبيرة وفائقة بالجانب الإلهي؛ لكونه يحتل مكانة بارزة وكبيرة في فكره، ودعا الشيخ محمد عبده المسلمين إلى التمسك بالوحدة الإسلامية؛ مقرراً أن الدين الإسلامي دين توحيد في العقائد، لا دين تفريق في القواعد، كما أن الغاية من علم التوحيد القيام بغرض مجمع عليه وهو معرفة الله تعالى بصفاته الواجب ثبوتها له مع تنزيهه عما يستحيل اتصافه به، والتصديق برسله على وجه اليقين الذي تطمئن به النفس اعتماداً على الدليل لا استرسالاً مع التقليد وفق ما أرشدنا إليه الكتاب، ويوصي البحث بالعناية بكتب الشيخ محمد عبده وجهوده في علم التوحيد.



الكلمات المفتاحية: جهود، محمد عبده، الإلهيات، رسالة التوحيد، أفعال العباد، رؤية الله تعالى

Efforts of Sheikh Mohammed Abdo in divinities

Through his message called:

The Message of Monotheism

Muhammad Rushdi Ibrahim

Department of Doctrine and Philosophy, Islamic Girls College in Assiut, Al-Azhar University, Egypt

E-mail :MohammadRushdi.2278@azhar.edu.eg

Abstract:

This study aims to explain the intellectual, reform and renewal vision of Sheikh Muhammad Abduh. Especially his efforts on the divine side in terms of his view of working to revive the correct and sound faith for Muslims; As he saw that the main reason for the backwardness of the Islamic world and the world's rallying against it is their division and fragmentation, and the Islamic religion is not like that because it is a religion of unity, not division, His vision was also focused on returning to the origins of the true religion and its main sources, and to work with its rulings on what was in its beginnings from what was brought by

the Holy Qur'an and the Sunnah of the Prophet and what the righteous predecessors were upon, and it also aims to show that the call of Islam is directed at liberating people from slavery to other than God The Almighty, through His unification, the Almighty alone, so that misguided minds are liberated from imitation and unleash their creative energies, so that human societies know that Islam is not only a religion, but rather a religion, morals, culture and civilization, and the study was limited to his message called the message of monotheism because it is one of the noble works of Sheikh Muhammad slave; It also dealt with the doctrine of divinity in a smooth and simplified manner without exposing the differences of Islamic sects in it, and the research concluded that the message of unification is one of the most important and prominent works of Sheikh Muhammad Abdo, And through it, it becomes clear that he has a wide and distinguished religious background, and an enlightened verbal thought, as well as that Sheikh Muhammad Abdo, in his message, took great care of the divine aspect. Because it occupies a prominent and significant position in his thought, Sheikh Muhammad Abduh called on Muslims to adhere to Islamic unity. Determining that the Islamic religion is a religion of monotheism in beliefs, not a religion of division in rules, Likewise, the purpose of the science of monotheism is to carry out a goal that is agreed upon, which is to know God Almighty with His attributes that must be established for Him, while clearing Him of

what is impossible to describe Him with, and to believe in His Messengers with certainty that the soul reassures with, depending on the evidence, and not by imitation, according to what the book has guided us to, and recommends research. Paying attention to the books of Sheikh Muhammad Abduh and his efforts in the science of monotheism.

key words: Efforts, Muhammad Abduh, Divinities, The Message of Monotheism, Actions of Servants, Seeing God Almighty



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد...

فإن رسالة التوحيد تُعد من أهم وأبرز مؤلفات الشيخ محمد عبده، كما أنها تبين لنا في صورة واضحة أن الشيخ صاحب خلفية دينية واسعة ومتميزة، وفكر كلامي مستنير، ويُعد من أبرز دعاة الإصلاح والتجديد[١] ومؤسس المدرسة العقلية في العصر الحديث، إذ دعا إلى تجديد علم الكلام؛ ليصبح ذلك العلم أكثر فائدة للإسلام والمسلمين، وكان - رحمه الله - من المدافعين عن الإسلام ببسالة، كما أنه ساهم بفكره ووعيه وعلمه بوضع يده على الداء الذي حل بالمسلمين، وبين أن المشكلة تكمن في فهم الدين فهماً صحيحاً، ولقد سلك في هذه الرسالة مسلك السلف[٢] في تناول العقائد؛ لكن مع احترام آراء الخلف[٣] والبعد عن الخلاف بين المذاهب؛ فهو يرفض التعصب لمذهب بعينه؛ حتى تفرز الأمة اجتهاداتها، تلك الاجتهادات القائمة على الفهم والاستنتاج والاستنباط، وبالرغم من ذلك فقد دافع – كعالم عقلي إصلاحي – عن التجديد، وبخاصة التجديد في فهم العقائد أو أصول الدين - لاسيما الإلهيات -، وحارب البدع والخرافات، والجمود والتقليد الأعمى والغلو في التبعية والترديد؛ حتى يُعمل الإنسان عقله ويحرره؛ وحتى تفهم الأمة الإسلام فهماً صحيحاً، وهذا الذي دعا إليه القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة؛ فجمع الشيخ في هذه الرسالة بين النقل والعقل، ولا شك أن هناك

---

(١) التجديد لغة: إعادة الشيء إلى سيرته الأولى، يقال: جدد الثوب تجديداً صيره جديداً وتجدد الشيء تجدداً صار جديداً، ,تقول : جدده فتجدد وأجده: أي الثوب، وجدده واستجد: صيره، أو لبسه جديداً فتجدد .والجديد نقيض البلى والخلق. انظر: لسان العرب – للعلامة ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبي الفضل المصري – جـ٣ – صـ١١١ – ط دار صادر – بيروت – لبنان.

والتجديد اصطلاحاً: إزالة ما طرأ على الأصول والكليات والقسمات الأساسية مما يتعارض مع روحها ومقاصدها، الأمر الذي يكشف عن نقاء هذه الأصول ويعيدها بالعقلانية والاجتهاد كي تفعل فعلها في مستحدثات الأمور، وما يستجد في واقع الحياة. الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين – د. محمد عمارة – صـ١٠ – ط دار الشروق – القاهرة – الطبعة الثانية – – ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.

(٢) يقصد بالسلف كتعريف مرتبط بالزمان: أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وتابعيهم ومَن بعدهم من أصحاب القرون الثلاثة الأولى المفضلة، وكتعريف مرتبط بالمنهج: كل من التزم بمنهجهم واقتدى بهم، والعمل بما جاء في القرآن الكريم والسُنة النبوية.

(٣) هم من جاءوا بعد القرون الثلاثة الأولى المفضلة.

ترابطاً بينهما في الإسلام؛ لأن النقل يحتاج إلى إعمال عقل وتفكر وتدبر، كما أن العقل في حاجة ملحة وماسة إلى النقل، حيث إن العقل لم يستطع أن يصل بمن اعتمدوا عليه إلى معرفة الكثير والكثير من الحقائق، كما أنه أدى إلى انحرافهم لاعتمادهم عليه فقط.

على أنه ينبغي الإشارة إلى أن الشيخ رسم لنفسه طريقاً في هذه الرسالة محاولاً فيه أن ينأى عن الخلافات الجدلية والنزاعات التي أحدثت شقاقاً بين الفرق الكلامية، وعن التأثير بمن سبقه؛ إذ إنه أراد توحيد الصف الإسلامي وجمع المسلمين على كلمة سواء، وذلك يبرز لنا بحق أنه – رحمه الله – كان يُعد مدرسة يُتعلم منها وبخاصة في علم الكلام، والناظر في هذه الرسالة يتضح له ذلك من خلال الأسلوب التربوي في الكتابة الذي يبتعد عن الغموض أو التعقيد أو الجمود أو التقليد، ويتميز بالوضوح والسلاسة واليسر والتبسيط في العبارة والبعد عن الاستطراد؛ مع الإبداع بما لا يخل بالمعنى المطلوب، لتسهل للقارئ – حتى لغير المتخصص – كما أنها تُعد بحق زاداً فكرياً خصباً للباحثين والمفكرين وطلبة العلم، وتلك أمور لا تجتمع إلا لمن ندر من العلماء كفضيلة الشيخ – رحمه الله–.

وحاول في هذه الرسالة أن تكون دعوته موجهة إلى تحرير البشر من العبودية لغير الله تعالى، وذلك من خلال توحيده عز وجل وحده، حتى تتحرر العقول المضللة من التقليد وتنفجر طاقاتها الإبداعية، لتعلم المجتمعات الإنسانية أن الإسلام ليس ديناً فقط، وإنما هو دين وأخلاق وثقافة وحضارة، ومن خلال هذه المفاهيم تنطلق الطاقات البشرية للعلم والمعرفة والعمل، ومحاربة الجهل والتقاعس عن السعي والعمل، لأن الإسلام إيمان وعمل وليس إيماناً فقط، والدعوة إلى الوسطية – التي هي غاية رئيسة ومنشودة في الإسلام وسمة مميزة له – والتي طالما انحاز لها الشيخ واتسم بها منهجه الإصلاحي التربوي، والبعد عن الغلو والتطرف.

هذه هي نظرة الشيخ محمد عبده الجديدة إلى علم التوحيد والرؤية المستنيرة له، وهي مغايرة لمن كان قد سبقه في علم الكلام، إذ كانت الكتابات قبله تعتمد على المتون والشروح والحواشي والتقريرات، وتعتريها الألفاظ الفلسفية الجامدة – وهذا لا يُعد عيباً فيها؛ إذ كانت الحالة آنذاك تتطلب ذلك؛ لاسيما في الرد على المبتدعة والملاحدة والزنادقة وغيرهم ممن أوردوا شُبهات على الإسلام والعقائد الإيمانية؛ فكان ينبغي مقاومتهم والتصدي لهم ومجادلتهم ومناظرتهم وإفحامهم بنفس أدلتهم وذلك أدعى لانقطاعهم وإبطال شبهاتهم – وكانت نظرة بعض الأقدمين من علماء الكلام تدعو إلى التقليد والترديد؛ فجاء الشيخ ليسمو بالإنسان وإرادته وفكره ورأيه؛ حتى يسعد الإنسان في ظل هذه النظرة الجديدة لعلم التوحيد.

ومن الملاحظ في رسالة الشيخ أن جُل تركيزه ومعالجته لقضايا علم الكلام كان يدور حول الإلهيات، ويبدو أنه رأى أن هذا الجانب قد دارت حوله خلافات كثيرة وانقسامات عديدة فأراد البعد عنها، وطرحه بأسلوب سهل غير معقد، أقرب ما يكون إلى السهولة والبساطة والتوفيق.

هذا ما دفعني للكتابة في هذا الموضوع، ولقد سميته:

جهود الشيخ محمد عبده في الإلهيات من خلال كتابه: رسالة التوحيد.

وقسمته إلى: مقدمة، وتمهيد، وسبعة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: في بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومحتوياته.

التمهيد:

أولاً: التعريف بالشيخ محمد عبده:

ثانياً: سبب تأليفه – رحمه الله – لرسالة التوحيد.

المبحث الأول: تعريف علم التوحيد، وأسماؤه، ونشأته، والغاية منه.

المبحث الثاني: أقسام المعلوم.

المبحث الثالث: الأدلة على وجود الله.

المبحث الرابع: الصفات الإلهية.

المبحث الخامس: أفعال الله.

المبحث السادس: أفعال العباد.

المبحث السابع: جواز رؤية الله تعالى في الآخرة.

الخاتمة: في أهم نتائج البحث.



التمهيد

أولاً: التعريف بالشيخ محمد عبده:

اسمه ونسبه:

هو محمد بن عبده بن حسن خير الله من آل التركماني[١]؛ فهو ينحدر من أصل تركماني، ويبين ذلك متحدثاً عن نسبه قائلاً: كنت أسمع المداحين من أهل بلدتنا يلقبون بيتنا ببيت التركمان؛ فلما سألت والدي عن ذلك؟ أخبرني أن نسبنا ينتهي إلى جد تركماني، كان قد جاء من بلاد التركمان[٢] في جماعة من أهله وسكنوا بمديرية البحيرة مدة من الزمن، ثم في محلة نصر فيما بعد[٣].

مولده ونشأته:

ولد الشيخ محمد عبده في أواخر سنة ١٢٦٦هـ [٤]بحصة شبشير من قرى إقليم الغربية، ولكنه نشأ بقرية صغيرة تسمى محلة نصر من قرى مركز شبراخيت بإقليم البحيرة، حيث نشأ والده ونشأت أسرته من قبله. [٥]

ولقد نشأ الشيخ في بيت ريفي حرص أهله على تربيته تربية دينية صالحة ونشأته نشأة قويمة؛ فلقد تعلم الكتابة والقراءة في منزل والده، ثم وُكل به إلى شيخ لتحفيظه القرآن، ثم أُرسل في سن طلب العلم إلى طنطا لتلقِّي علومه؛ تمهيداً للترقي منه إلى

---

(١) الأعلام – خير الدين الزركلي – جـ٦ – صـ٢٥٢ – ط دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – الطبعة الخامسة عشرة – ٢٠٠٢م، ومعجم المؤلفين – عمر رضا كحالة – جـ٣ – صـ٤٧٤ – ط مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٢) أحد الشعوب التركية يعيشون في تركمانستان وشمال شرق إيران وشمال غرب أفغانستان وفي شمال القوقاز خاصة في (كراي ستافروبول). يتكلمون اللغة التركمانية إحدى اللغات التركية. ينظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا– https://ar.wikipedia.org/wiki/.

(٣) معجم المؤلفين – عمر رضا كحالة – جـ٣ – صـ٤٧٤ – ط مؤسسة الرسالة – بيروت، والأعمال الكاملة للشيخ الإمام محمد عبده–تحقيق وتقديم د. محمد عمارة – جـ٢ – صـ٣١٦ – ط دار الشروق – الطبعة الأولى – ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

(٤) الأعلام – الزركلي – جـ٦ – صـ٢٥٢.

(٥) عبقري الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده – أ. محمود عباس العقاد – صـ٤٧ – مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة.

الجامعة الأزهرية، ولم يقبل منه أبوه عذراً للتخلف عن المسجد بعد تزويجه المبكر في نحو السادسة عشرة من عمره. (١)

ثم ألزمه والده الذهاب إلى طنطا للتعلم؛ لكنه غير وجهته في الطريق إلى بلدة "كُنَيّسة أورين"(٢) ولجأ إلى أحد أخوال أبيه الذي يسمى بالشيخ درويش خضر؛ لكن ما إن أقام معه حتى حبب إليه العلم وطلبه بسبب طريقته في التدريس إلى أن صار طلب العلم وتحصيله أحب شيء إلى نفسه، وأضحى الشيخ درويش – كما يقول الشيخ محمد عبده – مفتاح سعادة له في هذه الحياة الدنيا، ورد له ما كان قد غاب عنه من غريزته وكشف له ما كان خفياً عنه مما أودع في فطرته من حب القراءة وتحصيل العلم(٣).

وتعلم بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم التحق بالجامع الأزهر سنة ١٢٨٢هـ، وداوم على الدراسة إلى أن اتصل بالسيد جمال الدين الأفغاني (ت١٣١٤هـ) أول سنة ١٢٨٧هـ فلازمه ثماني سنين، وأثر الأفغاني فيه تأثيراً كبيراً(٤).

شيوخه وتلاميذه:

كان للشيخ محمد عبده شيوخ كثر، منهم: الشيخ درويش خضر، الشيخ محمد البسيوني (ت١٣١٠هـ)، والشيخ محمد عليش (ت١٢٩٩هـ)، والشيخ جمال الدين الأفغاني، الشيخ حسن الطويل(ت١٣١٥هـ).

---

(١) المرجع السابق – صـ٥٧.

(٢) كُنَيّسة أورين هي قرية قديمة، اسمها الأصلي كُنَيّسة عبدالملك، من أعمال البحيرة، وفي العهد العثماني عُرفت بكُنَيّسة أورين بسبب مجاورتها لناحية أورين. ينظر: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية – من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م – محمد رمزي – القسم الثاني – البلاد الحالية – جـ٢– مديريات الغربية والمنوفية والبحيرة– صـ٣٠٨–ط الهيئة المصرية العامة للكتاب –١٩٩٤م.

(٣) الأعمال الكاملة للشيخ الإمام محمد عبده – جـ٢ – صـ٣٢٢–٣٢٣.

(٤) التفسير ورجاله – الشيخ محمد الطاهر بن عاشور – صـ١٦٣–١٦٤– الأزهر – مجمع البحوث الإسلامية – السنة الثانية – الكتاب الثالث عشر – ربيع الأول ١٣٩٠هـ – مايو ١٩٧٠م، والأزهر في ألف عام– د. محمد عبدالمنعم خفاجي ، د. علي علي صبح – جـ٣ – صـ٦٩ – المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة – ١٤٢٩هـ–٢٠٠٩م.

كما كان له الكثير من تلامذة العلم وطلابه، منهم: الشيخ محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ)، والأستاذ محمد مصطفى المراغي (ت١٣٦٤هـ)، والشيخ مصطفى عبدالرازق (ت١٣٦٦هـ).

أعماله:

عمل الشيخ محمد عبده في التعليم، وكتب في الصحف، ولاسيما جريدة "الوقائع المصرية"، وتولى تحريرها...وتولى منصب القضاء في مصر سنة ١٨٨٨م، ثم جعل مستشاراً في محكمة الاستئناف، وفي عام ١٨٩٩م عين مفتياً للديار المصرية، وعضواً في مجلس الشورى[١].

مؤلفاته:

للشيخ محمد عبده – رحمه الله – مؤلفات كثيرة، منها:

"تفسير القرآن الكريم"، ط ، لم يتمه، و "رسالة التوحيد" ط، وهي موضوع بحثنا، و "الرد على هانوتو" ط، و "رسالة الواردات" ط، و "حاشية على شرح الدواني للعقائد العضدية" ط، و "شرح نهج البلاغة" ط، و "شرح مقامات البديع الهمذاني" ط، و"الإسلام والرد على منتقديهِ" ط، من مقالاته، و "الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية" ط، و "الثورة العرابية" لم يتمه، وترجم رسالة "الرد على الدهريين"[٢].

وفاته: توفي الشيخ محمد عبده – رحمه الله – بالإسكندرية في ١١ يوليو سنة ١٩٠٥م – ٧ جمادى الأولى ١٣٢٣هـ بعد جهاد طويل في سبيل إصلاح الأزهر، وفي سبيل الإصلاح الديني والإسلامي...وأُودع جثمانه مقبرة العفيفي بالقاهرة[٣].

---

(١) الأعلام– الزركلي – جـ٦ – صـ٢٥٢، ومعجم المؤلفين – جـ٣ – صـ٤٧٥.

(٢) المرجع السابق – جـ٦ – صـ٢٥٢.

(٣) نفس المرجع والجزء والصفحة، ورائد الفكر المصري الإمام محمد عبده – د. عثمان أمين – صـ٤٧،٤٨– المجلس الأعلى للثقافة – ط الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية – القاهرة.

ولقد كان نبأ وفاته بمثابة صدمة على العالم العربي والإسلامي؛ فكان يوماً حداداً في ربوعهما، لكونه قدم الإسلام في أبهى وأجمل صورة متوافقة مع الشرع الحكيم، كما أنه كان المثل والقدوة لعلماء المسلمين الذين ينبغي لنا أن نقتدي ونفتخر بهم، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وجزاه خير الجزاء لما قدمه للإسلام والمسلمين.

ثانياً: سبب تأليفه – رحمه الله – لرسالة التوحيد:

كتب الشيخ محمد عبده هذه الرسالة عام ١٨٩٧م، وهي في أصلها عبارة عن دروس دينية شفهية كانت موجهة إلى طلاب العلم في بيروت، ثم ما لبث – بعد عودته إلى مصر – أن ينقحها ويبسطها ويطبعها في كتاب مستقل ليستفيد بها عموم المسلمين، يقول الدكتور عاطف العراقي:

وأما كتاب رسالة التوحيد فمحتوياته كانت في الأصل عبارة عن دروس دينية ألقاها الشيخ محمد عبده على طلبة المدرسة السلطانية في بيروت عام ١٨٨٥م، وذلك بعد إبعاده عن مصر، ولما عاد إلى بلاده شعر بالحاجة الملحة والماسة إلى تأليف كتاب في العقيدة؛ فعاد إلى الدروس التي ألقاها في بيروت وقام بتنقيتها وإعادة صياغتها وإخراجها إلى الطبع عام ١٨٩٧م، وبذلك أخذت الرسالة الطابع الكتابي بعد أن كانت دروساً شخصية(١).

وهذا ما ذكره الشيخ في رسالته، إضافة إلى ما قاله: من "أن المختصرات في هذا الفن – أي علم التوحيد – ربما لا تأتي على الغرض من إفادة التلاميذ، والمطولات تعلو على أفهامهم، والمتوسطات ألفت لزمن غير زمانهم؛ فرأيت من الأليق أن أملي عليهم ما هو أمس بحالهم". (٢)وبذلك تم كتابة وطبع هذه الرسالة ليستفيد منها طلبة العلم ومن أقدم على تعلم علم التوحيد، ولقد عُنيت بالإلهيات والنبوات من علم الكلام؛

---

(١) الشيخ محمد عبده مفكراً عربياً ورائد الإصلاح الديني والاجتماعي – بحوث ودراسات عن حياته وأفكاره – صـ١٤٤ – ط المجلس الأعلى للثقافة.

(٢) رسالة التوحيد – الشيخ محمد عبده – صـ٢ – بتعليق الشيخ محمد رشيد رضا – دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة – الطبعة الرابعة عشرة – ١٣٧١م.

لكنها لم تتطرق إلى السمعيات وربما ذلك لكونها من الاعتقادات التي ليس للعقل فيها دخل؛ فهي تؤخذ عن طريق النقل قرآناً كان أو سنة.

ولقد وصف الشيخ محمد رشيد رضا هذه الرسالة قائلاً: وقد مرت القرون وليس عندنا مصنف يصلح للدعوة إلى الإسلام، على الوجه الذي اشترطه علماء الكلام، وهو أن يكون على وجه يحرك إلى النظر، ويدعو إلى البحث والتفكر حتى صنف الشيخ محمد عبده (رسالة التوحيد) في بيان هذا الدين.(١)



(١) مقدمة رسالة التوحيد – الصفحة ى.

المبحث الأول

تعريف علم التوحيد، وأسماؤه، ونشأته، والغاية منه

أولاً: تعريف علم التوحيد(١):

تحتل عقيدة التوحيد مكانة بارزة وكبيرة في فكر الشيخ محمد عبده، وذلك لأن التوحيد هو أساس العقيدة الإسلامية، والمقصد الأسمى من بعثة – الرسل عليهم السلام – وإنزال الكتب، وهو يرى أن "التوحيد أهم ما جاء لأجله الدين، ولذلك لم يكتف في الفاتحة بمجرد الإشارة إليه؛ بل استكمله بقوله: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)(٢) فاجتث بذلك جذور الشرك والوثنية التي كانت فاشية في جميع الأمم وهي اتخاذ من دون الله تعتقد لهم السلطة الغيبية ويدعون لذلك من دون الله ويستعان بهم على قضاء الحوائج في الدنيا ويتقرب بهم إلى الله زلفى، وجميع ما في القرآن من آيات التوحيد ومقارعة المشركين هو تفصيل لهذا الإجمال"(٣).

كما أن عقيدة التوحيد تبرز بوضوح في رسالة التوحيد، ويتحدث الشيخ محمد عبده عن معنى التوحيد قائلاً: " أصل معنى التوحيد: اعتقاد أن الله واحد لا شريك له"(٤)، وهذا تقرير منه لمعنى التوحيد كما هو في التصور الإسلامي الذي جاء به القرآن الكريم

(١) التوحيد لغة: هو الحكم بأن الشيء واحد، أو جعل الشيء واحداً، والتوحيد اصطلاحاً: تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام ويتخيل في الأفهام والأذهان، وهو ثلاثة أشياء: معرفة الله بالربوبية، والإقرار بالوحدانية، ونفي الأضداد عنه جملة، وعلم التوحيد هو: العلم بأن الشيء واحد، ووحد الله توحيداً: نفى عنه الشريك، وقال: لا إله إلا الله، وهو تعالى الواحد الأحد ذو الوحدانية والتوحيد. ينظر: التعريفات – للعلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني – صـ٧٣ – مكتبة لبنان – بيروت – لبنان – ١٩٨٥م، ومعجم متن اللغة – الشيخ أحمد رضا – مادة (و–ح–د) – جـ٥– صـ٧١٦ – دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان – ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م. وعرف الشيخ عبدالسلام اللقاني التوحيد بأنه: "إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفات وأفعالاً، ولا تقبل الانقسام من أي وجه، وقيل هو: إثبات ذات غير مشبهة بالذوات ولا معطلة عن الصفات". شرح جوهرة التوحيد – للشيخ عبدالسلام بن إبراهيم اللقاني – صـ١٤،١٥ – ط مطبعة السعادة بمصر – الطبعة الثانية – ١٣٧٥هـ–١٩٥٥م.

(٢) سورة الفاتحة – الآية: ٥.

(٣) تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار – الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا – جـ١ – صـ٣٦،٣٧ – ط دار المنار – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٣٦٦ – ١٩٤٧م.

(٤) رسالة التوحيد – صـ٥.

والسنة النبوية، ويعرف علم التوحيد بأنه: "علم يبحث فيه عن وجود الله وما يجب أن يثبت له من صفات، وما يجوز أن يوصف به، وما يجب أن ينفى عنه، وعن الرسل لإثبات رسالتهم وما يجب أن يكونوا عليه وما يجوز أن ينسب إليهم وما يمتنع أن يلحق بهم"[١].

والواضح هنا من خلال هذا التعريف أنه ركز على بيان موضوع هذا العلم من الإلهيات والنبوات دون التطرق إلى ذكر السمعيات، وذلك يرجع إلى أن الإلهيات من العقائد الأصيلة والرئيسة والأساس الذي تدور عليه رسالة التوحيد، كما أنها "أشرف العبادات، وأفضل الطاعات، وشرط في صحتها، وسبب النجاة من العذاب المخلد"[٢]، "وبدون التوحيد بمعنى الإيمان والإذعان بكل ما علم ضرورة من ملة نبينا عليه الصلاة والسلام لا تنفع الطاعات...لأن صحة جميع العبادات موقوفة على نية العبادة وإخلاصها للمعبود، وذلك يتوقف على معرفة المعبود والإيمان به"[٣]، وشغلت عقول وأفكار علماء الكلام على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم، ثم تأتي من بعدها النبوات لكونها متعلقة بالوحي والرسالة اللذين هما اصطفاء من الله عز وجل لمن أراد.

كما يظهر لنا جلياً أن الشيخ بسَّط في مفردات التعريف بعيداً عن الدخول في مصطلحات فلسفية أو جدلية، وهذا ما كان يصبو إليه ويقصده من عرض أفكاره بالأسلوب اللغوي الواضح والسهل؛ ليتسنى للقارئ فهمه بصورة جيدة.

ثانياً: أسماء علم التوحيد:

يتحدث الشيخ محمد عبده عن أسماء هذا العلم ويذكر اسمين فقط من أسمائه، هما: علم التوحيد، وعلم الكلام، قائلاً:

---

(١) رسالة التوحيد – صـ٤.

(٢) شرح الناظم على الجوهرة – وهو الشرح الصغير المسمى هداية المريد لجوهرة التوحيد – للعلامة برهان الدين إبراهيم اللقاني– المجلد الأول – صـ٨٦ – ط دار البصائر – القاهرة – ١٤٢٠هـ-٢٠٠٩م.

(٣) القول المفيد على الرسالة المسماة وسيلة العبيد في علم التوحيد – الشيخ محمد بخيت المطيعي – صـ٤ – ط المطبعة الخيرية – الطبعة الأولى – ١٣٢٦هـ.

" وسُمى هذا العلم به – أي علم التوحيد – تسمية له بأهم أجزائه، وهو إثبات الوحدة لله في الذات والفعل في خلق الأكوان، وأنه وحده مرجع كل كون ومنتهى كل قصد[1] وهذا المطلب كان الغاية العظمى من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم كما تشهد به آيات الكتاب العزيز...وقد يسمى علم الكلام إما لأن أشهر مسألة وقع فيها الخلاف بين علماء القرون الأولى هي أن كلام الله المتلو حادث أو قديم، وإما لأن مبناه الدليل العقلي وأثره يظهر من كل متكلم في كلامه وقلما يرجع فيه إلى النقل اللهم إلا بعد تقرير الأصول الأولى ثم الانتقال منها إلى ما هو أشبه بالفرع عنها، وإن كان أصلاً لما يأتي بعدها، وإما لأنه في بيانه طرق الاستدلال على أصول الدين أشبه بالمنطق في تبيينه مسالك الحجة في علوم أهل النظر وأبدل المنطق بالكلام للتفرقة بينهما"[2].

والشيخ هنا ذكر اثنين فقط من أسماء علم التوحيد كما قلت آنفاً، وسبب التسمية بهذين الاسمين، مع أن لهذا العلم أسماء أخرى كثيرة، حتى ذكر بعض أهل هذا العلم أن له ثمانية أسماء[3]، منها: العلم الإلهي، وعلم أصول الدين، وعلم الفقه الأكبر، وعلم العقائد، وعلم الأسماء والصفات، وعلم النظر والاستدلال، ولا شك في أن الشيخ كان على علم بكل هذه الأسماء؛ لكنه لم يرد أن يقحم القارئ فيها.

ثالثاً: نشأة علم التوحيد:

يذكر الشيخ محمد عبده نشأة هذا العلم في الإسلام وفي العقائد السابقة، قائلاً:

---

(١) ذكر الشيخ محمد رشيد رضا أنه: فات الأستاذ أن يصرح بتوحيد العبادة، وهو أن يعبد الله وحده ولا يعبد غيره بدعاء ولا بغير ذلك مما يتقرب به المشركون إلى ما عبدوا معه من الصالحين والأصنام المذكرة بهم، أو النذور والقرابين، وهذا التوحيد هو الذي كان أول ما يدعو إليه كل رسول قومه، بقوله: "اعبدوا الله ما لكم من إله غيره". رسالة التوحيد – هامش ص٤.

(٢) رسالة التوحيد – ص٤،٥.

(٣) حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد– تحقيق د. علي جمعة – ص٤٠ – ط دار السلام – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م.

" هذا النوع من العلم – علم تقرير العقائد وبيان ما جاء في النبوات – كان معروفاً عند الأمم قبل الإسلام؛ ففي كل أمة كان القائمون بأمر الدين يعملون لحفظه وتأييده، وكان البيان من أول وسائلهم إلى ذلك؛ لكنهم كانوا قلما ينحون في بيانهم نحو الدليل العقلي وبناء آرائهم وعقائدهم على ما في طبيعة الوجود أو ما يشتمل عليه نظام الكون؛ بل كانت منازع العقول في العلم ومضارب الدين في الإلزام بالعقائد وتقريبها من مشاعر القلوب على طرفي نقيض، وكثيراً ما صرح الدين على لسان رؤسائه أنه عدو العقل نتائجه ومقدماته"[١].

ثم تطرق بعد ذلك إلى الحديث عن تاريخ موجز لعلم الكلام، ونشأته، وظهور المدارس والفرق الكلامية المتعددة نتيجة للخلافات السياسية والأحداث التاريخية؛ فذكر أن زمن النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان هو المرجع في الحيرة والسراج في ظلمات الشبهة، ثم قضى الخليفتان – أبوبكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما – بعده في مدافعة الأعداء وجمع كلمة الأولياء، ولم يكن هناك خلاف في أصول العقائد، وكان الناس في الزمنين يفهمون إشارات الكتاب ونصوصه ويعتقدون بالتنزيه ويفوضون فيما يوهم التشبيه ولا يذهبون وراء ما يفهمه ظاهر اللفظ، وفي عهد الخليفة الثالث – عثمان بن عفان رضي الله عنه – حدثت أحداث عظيمة بعد استشهاده فتحت أبواب الشقاق والنزاع بين المسلمين وبخاصة في مسألة الخلافة أو الإمامة، وتوالت الأحداث بعد ذلك ونقض بعض المبايعين للخليفة الرابع – علي بن أبي طالب رضي الله عنه – ما عقدوا، وكانت حروب بين المسلمين انتهى فيها أمر السلطان إلى الأُمويين، غير أن بناء الجماعة قد انصدع وانفصمت عرى الوحدة بينهم وتفرقت بهم المذاهب في الخلافة، وأخذت الأحزاب في تأييد آرائهم كل ينصر رأيه على رأى خصمه بالقول والعمل، وبدأ الخلاف يدب في مسائل عديدة نشأت عنها الفرق الكلامية كالشيعة، والخوارج، والمعتزلة، والباطنية[٢].

---

(١) رسالة التوحيد – ص٥،٦.

(٢) للرجوع إلى هذه الأحداث ينظر: رسالة التوحيد – ص٩– ١٧.

"إلى أن جاء الشيخ أبو الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ) في أوائل القرن الرابع وسلك مسلكه المعروف وسطاً بين موقف السلف وتطرف من خالفهم وأخذ يقرر العقائد على أصول النظر، وارتاب في أمره الأولون وطعن كثير منهم على عقيدته، وكفره الحنابلة واستباحوا دمه[١]، ونصره جماعة من أكابر العلماء؛ كأبي بكر الباقلاني (ت٤٠٢هـ) ، وإمام الحرمين (ت٤٧٨هـ) ، والإسفراييني (ت٤١٨هـ) وغيرهم، وسموا رأيه بمذهب أهل السنة والجماعة؛ فانهزم من بين أيدى هؤلاء الأفاضل قوتان عظيمتان :قوة الواقفين عند الظواهر، وقوة الغالين في الجري خلف ما تزينه الخواطر، ولم يبق من أولئك وهؤلاء بعد نحو من قرنين إلا فئات قليلة في أطراف البلاد الإسلامية"[٢]. ومن الواضح هنا أن الشيخ محمد عبده قد استحسن مسلك الإمام المجدد لعلم العقائد أبي الحسن الأشعري وبعض الأشاعرة، وأشاد به، واصفاً إياه بالوسطية والاعتدال من بين الفرق الإسلامية.

ثم تحدث عن مذاهب الفلسفة واصفاً إياها بأنها تستمد آراءها من الفكر المحض، ونعى على بعض الفلاسفة المسلمين تقليدهم وإعجابهم بما نقل إليهم عن بعض فلاسفة اليونان.[٣]، وبخاصة أرسطو(ت٣٢٢ق.م) وأفلاطون (ت٣٤٧ق.م) ، كما أنهم زجوا بأنفسهم في المنازعات التي كانت قائمة بين أهل النظر في الدين، واصطدموا بعلومهم في قلة عددهم مع ما انطبعت عليه نفوس الكافة؛ فمال حماة العقائد عليهم، وتم خلط مسائل الكلام بمذاهب الفلسفة في بعض كتب المتأخرين؛ ككتب البيضاوي (ت٦٨٥هـ)

---

(١) موقف الحنابلة من الشيخ أبي الحسن الأشعري – رحمه الله – معروف في التاريخ؛ على أن الناظر في عقيدة الشيخ الأشعري يدرك تمام الإدراك ويعرف معرفة تامة أنه ذكر أنه على عقيدة الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله –، وأيد ما أجمع عليه السلف من الأصول العقائدية. يراجع: الإبانة عن أصول الديانة – للشيخ أبي الحسن الأشعري – بتحقيق د. فوقية حسين محمود – جـ١ – صـ٢١ – دار الأنصار – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٣٧٩هـ–١٩٧٧م، ورسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب – للشيخ أبي الحسن الأشعري – بتحقيق عبدالله شاكر محمد الجنيدي – صـ١١٧ وما بعدها – مركز البحث العلمي وإحياء التراث – المجلس العلمي – الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – المملكة العربية السعودية – ١٤١٣هـ.

(٢) رسالة التوحيد – صـ١٧،١٨.

(٣) لاسيما وأن الشيخ محمد عبده يرى أن اليونانيين نشأوا وثنيين، ولازالت الوثنية ترقُ وترثُ بارتقائهم في العلوم. انظر: تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده – جمعه الشيخ محمد رشيد رضا – جـ٢–صـ٤٢٥– ط دار الفضيلة – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.



وعضد الدين الإيجي (ت٧٥٦هـ) ، أو غيرها، وبالغ المتأخرون منهم في تأثرهم حتى كاد يصل بهم السير إلى ما وراء الاعتدال؛ فسقطت منزلتهم من النفوس ونبذتهم العامة ولم تحفل بهم الخاصة، وذهب الزمان بما كان ينتظر العالم الإسلامي من سعيهم.[١]

ولا يُفهم من هذا أن الشيخ محمد عبده لا يقبل الفلسفة أو يريد محاربتها، لا؛ بل كان يرجو من أتباعها ثلاثة أمور:

الأول: الابتعاد عن تقليد فلاسفة اليونان تقليداً أعمى.

الثاني: تجنب الزج بأنفسهم في المنازعات الدينية؛ لأنه يرى ضرورة الفصل بين الفلسفة والمسائل الدينية.

الثالث: كما أنه كان ينبغي لمفكري وعلماء المسلمين ألا ينفصلوا عن الحياة العامة ويسيروا خلف فلاسفة اليونان ويشغلوا أنفسهم بقضايا لن تفيد الأمة الإسلامية إلا النزاع والشقاق.

وفي نهاية كلامه عن نشأة هذا العلم دعا المسلمين إلى التمسك بالوحدة الإسلامية؛ لأن هذا هو ما جاء به الإسلام، قائلاً: "والذي علينا اعتقاده أن الدين الإسلامي دين توحيد في العقائد، لا دين تفريق في القواعد، العقل من أشد أعوانه، والنقل من أقوى أركانه، وما وراء ذلك فنزغات شياطين، وشهوات سلاطين، والقرآن شاهد على كل بعمله، قاض عليه في صوابه وخطله".[٢] وهذا يحمد له إذ إنه أراد أن يعود الناس إلى أصول وعقائد الإسلام النقية التي تدعوهم إلى الاتحاد ونبذ الشقاق والخلاف والفُرقة، قال تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [٣].

---

(١) رسالة التوحيد – صـ١٩–٢١.

(٢) المرجع السابق – صـ٢٣.

(٣) سورة الأنفال – الآية ٤٦.

رابعاً: الغاية من علم التوحيد:

يرى الشيخ محمد عبده أن "الغاية من هذا العلم القيام بغرض مجمع عليه وهو معرفة الله تعالى بصفاته الواجب ثبوتها له مع تنزيهه عما يستحيل اتصافه به، والتصديق برسله على وجه اليقين الذي تطمئن به النفس اعتماداً على الدليل لا استرسالاً مع التقليد وفق ما أرشدنا إليه الكتاب؛ فقد أمر بالنظر واستعمال العقل فيما بين أيدينا من ظواهر الكون وما يمكن النفوذ إليه من دقائقه، تحصيلاً لليقين بما هدانا إليه، ونهانا عن التقليد بما حكي عن أحوال الأمم في الأخذ بما عليه آباؤهم، وتبشيع ما كانوا عليه من ذلك". (١)

وهنا تظهر النظرتان النقلية والعقلية اللتان انتهجهما الشيخ محمد عبده لبيان الغاية من علم التوحيد؛ حيث إنه يستدل على ذلك بما أرشدنا إليه القرآن الكريم من استعمال العقل في النظر إلى الآيات والدلائل الكونية التي تدلنا إلى معرفة الله والإيمان به وتوحيده سبحانه وتعالى، والبعد عن التقليد الأعمى الذي يضل الإنسان ويوقعه في الباطل.

وهذا ما دأب عليه في رسالته، إذ إنه نظر إلى التوافق والانسجام والتلاحم بين النقل والعقل، ويؤيد هذا بقوله: " العقل وحده لا يستقل بالوصول إلى ما فيه سعادة الأمم بدون مرشد إلهى، كما لا يستقل الحيوان في درك جميع المحسوسات بحاسة البصر وحدها؛ بل لا بد معها من السمع لإدراك المسموعات مثلاً، كذلك الدين هو حاسة عامة لكشف ما يشتبه على العقل من وسائل السعادات، والعقل هو صاحب السلطان في معرفة تلك الحاسة وتصريفها فيما منحت لأجله والإذعان لما تكشف له من معتقدات وحدود أعمال.

---

(١) رسالة التوحيد – صـ٢٣.

كيف ينكر على العقل حقه في ذلك وهو الذى ينظر في أدلتها ليصل منها إلى معرفتها، وأنها آتية من قبل الله".(١)

ولا شك أنه متأثر في الربط بين النقل والعقل بمن سبقه من علماء الكلام – لاسيما الأشاعرة والماتريدية –.



(١) المرجع السابق – صـ١٢٨، ١٢٩.

المبحث الثاني

أقسام المعلوم

ذكر الشيخ محمد عبده في رسالته أقسام المعلوم من الناحية العقلية [١]، والحقيقة أنه نقل هذا التقسيم عن العلماء السابقين له؛ فسار على طريقتهم وانتهج نهجهم في هذه المسألة[٢]، إذ يقول: "يقسمون المعلوم إلى ثلاثة أقسام[٣]: ممكن لذاته، وواجب لذاته.[٤]، ومستحيل لذاته".[٥]

ثم يمضي في تعريف كل قسم من هذه الأقسام قائلاً: "ويعرفون المستحيل بما عدمه لذاته من حيث هي، أما الواجب فهو: ما كان وجوده لذاته من حيث هي، والممكن: ما لا وجود له ولا عدم من ذاته، وإنما يوجد لموجد ويعدم لعدم سبب وجوده، وقد يعرض له الوجوب والاستحالة لغيره"[٦].

---

(١) الحكم العقلي هو: "إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه من غير توقف على تكرار، ولا وضع واضع". حاشية العلامة الشيخ إبراهيم البيجوري على متن السنوسية – وبهامشها تقرير العلامة الشمس الأنبابي – صـ٨ – ط المطبعة العامرة المليجية – القاهرة – ١٣٢٣هـ.

(٢) ينظر على سبيل المثال: المباحث العقلية في شرح معاني العقيدة البرهانية لأبي عمرو عثمان بن عبدالله السلاجي – أبو الحسن علي بن عبدالرحمن اليفرني – تحقيق د. جمال علال البختي – المجلد الأول – صـ٤٣٧ وما بعدها – سلسلة ذخائر من التراث الأشعري المغربي (٧) – الرابطة المحمدية للعلماء – مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية – المملكة المغربية، وشرح المواقف للقاضي عضد الدين الإيجي – العلامة السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني – ومعه حاشيتا السيالكوتي والجلبي على شرح المواقف – ضبطه وصححه محمود عمر الدمياطي – جـ٣ – صـ١٠٨ وما بعدها – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

(٣) قال الشيخ أبو البركات الدردير – رحمه الله – في الخريدة البهية:

أقسام حكم العقل لا محالة * هي الوجوب ثم الاستحالة.

ثم الجواز ثالث الأقسـام * فافهم منحت لذة الأفهام. ينظر: متن الخريدة البهية – للشيخ أبي البركات أحمد بن محمد الدردير – صـ٢.

(٤) سيأتي الحديث عن أحكام الواجب بالتفصيل في المبحث الثالث: الأدلة على وجود الله..

(٥) رسالة التوحيد – صـ٢٤.

(٦) نفس المرجع والصفحة.



وبناء على ذلك فالمستحيل أو الممتنع: هو المعدوم الذي لا يقبل الوجود بأي حال من الأحوال، كاجتماع الضدين أو النقيضين في آن واحد، مثل: أن تجتمع الحركة والسكون في وقت واحد؛ فإن العقل يجزم بعدم وقوع ذلك مطلقاً.

والواجب: هو الثابت الذي لا يقبل الانتفاء أصلاً لذاته، كالزوجية للأربعة؛ فإن العقل لا يتصور أن الأربعة ليست زوجاً.

والممكن أو الجائز: هو ما يقبل الوجود والعدم لذاته، مثل الموجودات المحيطة بنا التي ندركها بحواسنا.

حكم المستحيل:

قبل أن يتحدث الشيخ محمد عبده عن حكم المستحيل ذكر أن "إطلاق المعلوم على المستحيل ضرب من المجاز؛ فإن المعلوم حقيقة لابد أن يكون له كون في الواقع ينطبق عليه العلم، والمستحيل ليس من هذا القبيل...وإنما المراد ما يمكن الحكم عليه، وإن في صورة يخترعها له العقل ليتوصل بها إلى الحكاية عنه".[١]

أي إن المستحيل حينما نفرض وجوده فذلك فرض جدلي على سبيل المجاز وليس الحقيقة؛ لكونه لا يوجد على أرض الواقع بأي حال من الأحوال.

ثم بين الشيخ حكم المستحيل بقوله: "وحكم المستحيل لذاته أن لا يطرأ عليه وجود؛ فإن العدم من لوازم ماهيته [٢]من حيث هي[٣]؛ فلو طرأ الوجود عليه لسلب لازم الماهية

(١) رسالة التوحيد – صـ٢٤،٢٥.

(٢) الماهية: مأخوذة من ما هو...بإلحاق ياء النسب إلى لفظ ما...والماهية عند المنطقيين بمعنى: ما يجاب عن السؤال بما هو، وعند المتكلمين والحكماء بمعنى: ما به الشيء هو هو، أو ما به يجاب عن السؤال بما هو، أي الذي هو لطلب الحقيقة دون الوصف، ولفظ الماهية يرادفه الذات والحقيقة والجوهر. ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم– للعلامة محمد علي التهانوي – تحقيق د. علي دحروج – جـ٢– صـ١٤٢٣،١٤٢٤– مكتبة لبنان – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٩٩٦م.

(٣) يقول الشيخ محمد رشيد رضا: "كلمة الماهية وتفسيرها والسؤال عن الشيء بما هو وما خصوه به واشترطوه في جوابه كل ذلك من اصطلاح علم المنطق لا من أصل اللغة؛ فالعرب تقول: ما كذا؟ لا ما هو كذا، وقد يجيبون عنه بأية صفة تميز الشيء المسؤول عنه عن غيره". تعليقات الشيخ محمد رشيد رضا على رسالة التوحيد – هامش صـ٢٥.

من حيث هي عنها، وهو يؤدي إلى سلب الماهية عن نفسها بالبداهة؛ فالمستحيل لا يوجد فهو ليس بموجود قطعاً؛ بل لا يمكن للعقل أن يتصور له ماهية كائنة...فهو ليس بموجود لا في الخارج ولا في الذهن".[١]

وهنا تأكيد على عدم وقوع أو وجود المستحيل؛ وذلك لأن العدم لازم من لوازم ذاته وجوهره وحقيقته، ولو فرضنا أو اعتبرنا أن المستحيل وجد بعد أن لم يكن فهذا لا محالة يؤدي بدوره إلى مخالفة ما ينبغي أن يكون عليه من عدم الوجود، والنتيجة في النهاية هي أن المستحيل ليس موجوداً في الواقع أو العقل ولا يقبل الوجود إذ هو معدوم بالضرورة؛ لأنه ليس له حقيقة أو ذاتية في الخارج أو الذهن، وذلك مثل وجود شريك للباري عز وجل؛ فهذا مستحيل لذاته ولا يقبل الوجود مطلقاً.

على أنه ينبغي الإشارة إلى أن المستحيل العادي بخلاف المستحيل العقلي؛ لأن المستحيل العادي يصح وجوده في العقل لكن عادة لا يصح أن يوجد، وذلك كوجود جبل من زئبق؛ فهذا لا يقع في الدنيا كما جرت العادة.

أحكام الممكن:

بين الشيخ محمد عبده عدة أحكام للممكن تتمثل في الآتي:

أولاً: "من أحكام الممكن لذاته أن لا يوجد إلا بسبب وأن لا ينعدم إلا بسبب؛ وذلك لأنه لا واحد من الأمرين له لذاته؛ فنسبتهما لذاته على السواء؛ فإن ثبت له أحدهما بلا سبب لزم رجحان أحد المتساويين على الآخر بلا مرجح وهو محال بالبداهة".[٢]

وذلك لأن كلاً من الوجود والعدم يستوي في حق الممكن، ولابد من سبب أو علة أو مرجح يرجح أحد الجانبين على الآخر، ولو وجد الممكن أو عدم بلا سبب لزم عن ذلك ترجيح الوجود أو العدم بلا مرجح، وهذا باطل؛ لأنه يلزم عنه اجتماع النقيضين،

(١) رسالة التوحيد – صـ٢٥،٢٦.

(٢) رسالة التوحيد – صـ٢٦،٢٧.

وهذا محال، ومن ثم لابد من سبب أو مرجح يرجح جانب الوجود على جانب العدم، أو العكس.

ثانياً: "ومن أحكامه أنه إن وجد يكون حادثاً؛ لأنه قد ثبت أنه لا يوجد إلا بسبب؛ فإما أن يتقدم وجوده على وجود سببه، أو يقارنه، أو يكون بعده، والأول باطل وإلا لزم تقدم المحتاج على ما إليه الحاجة، وهو إبطال لمعنى الحاجة، وقد سبق الاستدلال على ثبوتها [١]فيؤدى إلى خلاف المفروض، والثاني كذلك وإلا لزم تساويهما في رتبة الوجود؛ فيكون الحكم على أحدهما بأنه أثر والثاني مؤثر ترجيحاً بلا مرجح، وهو مما لا يسوغه العقل على أن علية أحدهما ومعلولية الآخر رجحان بلا مرجح وهو محال بالبداهة؛ فتعين الثالث وهو أن يكون وجوده بعد وجود سببه فيكون مسبوقاً بالعدم في مرتبة وجود السبب فيكون حادثاً إذ الحادث ما سبق وجوده بالعدم؛ فكل ممكن حادث".[٢]

من هنا يتضح لنا أن وجود الممكن يدل على حدوثه، أي وجوده بعد العدم، وأن الممكن لا يتقدم وجوده على وجود سببه أو علته؛ لأن ذلك باطل ويؤدي إلى اجتماع النقيضين وهو حاجة الممكن وعدم حاجته إلى العلة أو السبب!، كما أنه لا يصح أن يوجد الممكن مع وجود علته أو سببه؛ لأن تساويهما في الوجود لا يجعل العلة أو السبب علة أو سبباً لوجود الممكن، كما يؤدي كذلك إلى الجمع بين النقيضين وهو حاجة الممكن وعدم حاجته إلى العلة أو السبب!، إذن لابد من تقدم وجود العلة أو السبب على وجود الممكن.

وبمثال بسيط: هل يصح تقدم وجود الابن على وجود الأب، أو يساويه في الوجود؟! كلا؛ بل لابد أن يتقدم وجود الأب على وجود الابن؛ لكونه سبباً في وجوده.

ثالثاً: " الممكن لا يحتاج في عدمه إلى سبب وجودي؛ لأن العدم سلب، والسلب لا يحتاج إلى إيجاد بداهة؛ فيكون عدم الممكن لعدم التأثير فيه أو لعدم ما كان سبباً

(١) يقصد حاجة الممكن إلى علة أو سبب لكي يوجد، أو يخرجه من حيز العدم إلى حيز الوجود.

(٢) رسالة التوحيد – ص٢٧، ٢٨.

في بقائه، أما في وجوده فيحتاج إلى سبب وجودي ضرورة؛ لأن العدم لا يكون مصدراً للوجود؛ فالموجود إن حدث فإنما يكون حدوثه بإيجاد، وذلك كله بديهي".(١)

إذن عدم حاجة الممكن المعدوم إلى سبب يمنحه الوجود تتمثل في كون العدم نفي أو سلب، والنفي أو السلب ليس بحاجة إلى إيجاد؛ بل إن عدم الممكن لعدم التأثير فيه، أو عدم ما يحفظ بقاءه.

رابعاً: "كما يحتاج الممكن إلى السبب في وجوده ابتداء يحتاج إليه في البقاء لما بينا أن ذات الممكن لا تقتضى الوجود ولا يرجح لها الوجود على العدم إلا للسبب الخارجي الوجودي؛ فذلك لازم من لوازم ماهية الإمكان لا يفارقها من حيث هي؛ فلا يكون للممكن حالة يقتضى فيها الوجود لذاته؛ فيكون في جميع أحواله محتاجاً إلى مرجح الوجود على العدم، لا فرق بين الابتداء والبقاء".(٢)

فمثلاً كل موجود أوجده الله تعالى أو منحه الوجود يحتاج ذلك الموجود في بقائه واستمراره إلى من أوجده وهو الله رب العالمين؛ ليستقيم وجوده وبقاؤه.

ثم يستطرد الشيخ محمد عبده لتوضيح حاجة الممكن في بقائه إلى من أوجده وأنه لا يمكن استغناؤه عنه؛ قائلاً: " وبالجملة فيوجد فرق بين توقف الممكن على شيء وبين استفادته الوجود من شيء؛ فالتوقف قد يكون على وجود ثم عدم كما في توقف الخطوة الثانية على الأولى؛ فإن الأولى ليست واهبة الوجود للثانية وإلا وجب وجودها معها مع أن الثانية لا توجد إلا إذا انعدمت الأولى، وأما استفادة الوجود فتقتضى سبق مالك للوجود يعطيه للمستفيد منه وأن يكون وجود المستفيد مستمدا من وجود الواهب لا يقوم إلا به فلا يستقل بنفسه دونه في حال من الأحوال".(٣)

---

(١) رسالة التوحيد – صـ٢٨.

(٢) نفس المرجع والصفحة.

(٣) رسالة التوحيد – صـ٢٩.

خامساً: وهو الاستدلال على أن الممكن موجود قطعاً؛ إذ يقول الشيخ محمد عبده في إثبات هذا: "نرى أشياء توجد بعد أن لم تكن وأخرى تنعدم بعد أن كانت كأشخاص النباتات والحيوانات؛ فهذه الكائنات إما مستحيلة أو واجبة أو ممكنة، لا سبيل إلى الأول؛ لأن المستحيل لا يطرأ عليه الوجود، ولا إلى الثاني؛ لأن الواجب له الوجود من ذاته وما بالذات لا يزول؛ فلا يطرأ عليه العدم ولا يسبقه...فهي ممكنة فالممكن موجود قطعاً".[١]

سادساً: وبعد أن برهن الشيخ محمد عبده على وجود الممكن وحدوثه، يبرهن بعد ذلك على وجود موجده، وأن وجود الممكن يقتضى بالضرورة وجود الواجب؛ تحت عنوان: "جملة الممكنات الموجودة ممكنة بداهة".[٢]



---

(١) نفس المرجع والصفحة.

(٢) سيأتي الحديث عن هذا الدليل بالتفصيل في المبحث الثالث: الأدلة على وجود الله.

المبحث الثالث

الأدلة على وجود الله

مسألة وجود الله تعالى تُعد من أبرز وأهم المسائل العقدية، ولقد اهتم الشيخ محمد عبده بإثبات وجود الله عز وجل، وكان له دور بارز في هذه المسألة، حيث إنه استدل عليها بأدلة عقلية تقرب القارئ والمستدل إلى الفهم، منها ما يأتي:

الدليل الأول: دليل الفطرة(١):

استدل الشيخ محمد عبده على وجود الله تعالى بدليل الفطرة المركوز في الفطر الإنسانية السليمة؛ حيث يقول: " كل إنسان مهما علا فكره وقوى عقله أو ضعفت فطنته وانحطت فطرته، يجد نفسه أنه مغلوب لقوة أرفع من قوته، وقوة ما أنس منه الغلبة عليه مما حوله وأنه محكوم بإرادة تصرفه وتصرف ما هو فيه من العوالم في وجوه قد لا تعرفها معرفة العارفين، ولا تتطرف إليها إرادة المختارين.

تشعر كل نفس أنها مسوقة لمعرفة تلك القوة العظمى؛ فتطلبها من حسها تارة ومن عقلها أخرى، ولا سبيل لها إلا الطريق التي حددت لنوعها وهى طريق النظر؛ فذهب كل في طلبها وراء رائد الفكر...ولكن كلما رق الوجدان ولطفت الأذهان ونفذت البصائر ارتفع الفكر وجلت النتائج فوصل من بلغ به علمه بعض المنازل من ذلك إلى معرفة هذه القدرة الباهرة واهتدى إلى أنها قدرة واجب الوجود"(٢). فالله تعالى جعل في أصل خلقة الإنسان الإقرار بوجوده عز وجل والإيمان به والالتجاء إليه والاحتياج إليه؛ لاسيما في الشدائد والمصائب، وأن هناك قوة أعظم وأكبر منه متحكمة فيه ومسيطرة عليه، إنها قوة الله سبحانه وتعالى.

---

(١) الفطرة: هي الصفة التي يتصف بها كل موجود في أول زمان خلقته. انظر: الكليات – لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي – مادة (فطر) – صـ٦٩٧ – ط مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية – ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٢) رسالة التوحيد – صـ١٠٣،١٠٤.

وهذا الدليل ورد ذكره في القرآن الكريم؛ قال عز من قائل: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ). [١]

وفي السُنة النبوية الصحيحة؛ حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود إلا ويولد على الفطرة"[٢].

يقول ابن الأثير (ت٦٠٦هـ): "والمعنى أنّه يولد على نوع من الجبلة والطبع المتهيئ لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها، ولم يفارقها إلى غيرها، وإنما يعدل عنه من يعدل لآفة من آفات البشر والتقليد، ثم تمثل بأولاد اليهود والنصارى في اتباعهم لآبائهم، والميل إلى أديانهم عن مقتضى الفطرة السليمة.

وقيل: معناه كل مولود يولد على معرفة الله والإقرار به؛ فلا تجد أحداً إلا وهو يقر بأن له صانعاً، وإن سماه بغير اسمه أو عبد معه غيره"[٣].

فالشيخ محمد عبده استدل بدليل الفطرة، وهو الدليل الذي جاءت به الرسل لدعوة أقوامهم إلى توحيد الله عز وجل، قال تعالى: (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) [٤].

---

(١) سورة الروم – الآية ٣٠.

(٢) صحيح البخاري المسمى بـ: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه – للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري – تحقيق د. مصطفى ديب البغا – كتاب الجنائز – باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه – جـ١ – صـ٤٥٦ – برقم ١٢٩٢ – دار ابن كثير – بيروت – لبنان – الطبعة الرابعة – ١٤١٠هـ، وصحيح مسلم المسمى بـ: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – للإمام مسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري – تحقيق د. – محمد فؤاد عبد الباقي – كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة – جـ٤ – صـ١٦٢٤ – برقم ٢٦٥٨ – دار ابن حزم – الطبعة الأولى – ١٤١٦هـ.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر – الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير – أشرف عليه وقدم له علي بن حسن بن علي بن عبدالحميد الحلبي الأثري – باب الفاء مع الطاء – صـ ٧١٠ – دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى – ١٤٢١هـ.

(٤) سورة إبراهيم: الآية ١٠.

يقول الإمام الرازي (ت٦٠٦هـ): " اعلم أن أولئك الكفار لما قالوا للرسل: وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب، قالت رسلهم: وهل تشكون في الله، وفي كونه فاطر السموات والأرض وفاطراً لأرواحنا وأنفسنا وأرزاقنا وجميع مصالحنا، وإنا لا ندعوكم إلا إلى عبادة هذا الإله المنعم، ولا نمنعكم إلا عن عبادة غيره وهذه المعاني يشهد صريح العقل بصحتها"[١].

وهذا الدليل استدل به الكثير من العلماء القدامى والمحدثين سواء كانوا من علماء الكلام أو من غيرهم؛ فالشيخ محمد عبده نحا نحو العلماء السابقين في الاستدلال بهذا الدليل.

ولا ريب في أن من ينكر دليلاً مثل هذا الدليل – دليل الفطرة – إنما هو يجحد ما يعرفه قلبه وما تقر به نفسه من معرفة الخالق والإيمان به سبحانه وتعالى، كما أن هذا الدليل يُعد أصلاً وأساساً للأدلة العقلية.

الدليل الثاني: دليل الممكن والواجب:

حيث برهن الشيخ محمد عبده على وجود الممكن وحدوثه قائلاً: " نرى أشياء توجد بعد أن لم تكن وأخرى تنعدم بعد أن كانت كأشخاص النباتات والحيوانات؛ فهذه الكائنات إما مستحيلة أو واجبة أو ممكنة. لا سبيل إلى الأول لأن المستحيل لا يطرأ عليه الوجود، ولا إلى الثاني لأن الواجب له الوجود من ذاته وما بالذات لا يزول فلا يطرأ عليه العدم، ولا يسبقه...فهي ممكنة فالممكن موجود قطعا"[٢].

وبعد استدلاله وإثباته للممكن وحدوثه استدل على وجود موجده – الواجب – إذ يقول: "جملة الممكنات الموجودة ممكنة بداهة، وكل ممكن محتاج إلى سبب يعطيه الوجود؛ فجمله الممكنات الموجودة محتاجة بتمامها إلى موجد لها؛ فإما أن يكون عينها

(١) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب – للإمام فخر الدين الرازي – جـ١٩ – صـ٩٢،٩٣ – ط دار الفكر – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤٠١هـ. ١٩٨١م.

(٢) رسالة التوحيد – صـ٢٩.

وهو محال لاستلزامه تقدم الشيء على نفسه، وإما أن يكون جزأها وهو محال لاستلزامه أن يكون الشيء سبباً لنفسه ولما سبقه إن لم يكن الأول ولنفسه فقط إن فرض أول، وبطلانه ظاهر؛ فوجب أن يكون السبب وراء جملة الممكنات، والموجود الذى ليس بممكن هو الواجب إذ ليس وراء الممكن إلا المستحيل والواجب، والمستحيل لا يوجد فيبقى الواجب؛ فثبت أن للممكنات الموجودة موجداً واجب الوجود، وأيضا الممكنات الموجودة سواء كانت متناهية أو غير متناهية قائمة بوجود؛ فذلك الوجود إما أن يكون مصدره ذات الإمكان وماهيات الممكنات وهو باطل، لأنه لا شيء من الماهيات الممكنة بمقتض للوجود؛ فتعين أن يكون مصدره سواها وهو الواجب بالضرورة"(١).

والشيخ هنا استدل على وجود الممكنات بحاجتها لمن يمنحها الوجود، ومحال أن يكون وجودها من ذاتها إذ الشيء لا يصح أن يكون علة لنفسه، والمستحيل ليس بموجود فلا يستطيع أن يوجدها؛ ففاقد الشيء لا يعطيه، والذي يعطيها الوجود هو الواجب قطعاً.

واستدلال الشيخ على وجود الله بالواجب والممكن فصل بينهما، وبين أن ممكن الوجود مفتقر ومحتاج في وجوده إلى سبب أو موجد أو مرجح لوجوده، ولا يمكن أن يكون السبب إيجاده لنفسه بنفسه لكونه محالاً، كذلك لا يمكن أن يكون أحد الممكنات مثله، وليس وراء الممكنات إلا المستحيل والواجب، والمستحيل فاقد للوجود؛ فكيف يمنحه لغيره؟! فلابد أن تكون النتيجة هي وجود الممكن عن طريق واجب الوجود، وهذا الدليل سلكه بعض الفلاسفة والمتكلمين(٢)، لكن الشيخ محمد عبده ذكره بطريقة سهلة حتى يفهمه القارئ المتخصص والغير متخصص.

---

(١) المرجع السابق – ص٣٠، ورسالة الواردات في نظريات المتكلمين والصوفية في الفلسفة الإلهية–الشيخ محمد عبده – ص٥ – ط مطبعة المنار – مصر – الطبعة الثانية – ١٣٤٤هـ–١٩٢٥م.

(٢) مثل: الفارابي. ينظر: الثمرة المرضية في بعض الرسالات الفارابية – رسالة عيون المسائل – ص٥٧ – ط ليدن – ١٩٨٠م.
وابن سينا. يراجع: النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية – نقحه وقدم له د. ماجد فخري – ص٢٧١،٢٧٢ – دار الآفاق الجديدة – بيروت.

المبحث الرابع

الصفات الإلهية

تُعد مسألة الصفات الإلهية من أبرز المسائل التي شغلت الفكر الإنساني؛ وذلك لكونها مرتبطة بالإله سبحانه وتعالى، ولقد دار حولها خلاف ونزاع بين الفرق الإسلامية، وقبل الخوض في صفات الله عز وجل عند الشيخ محمد عبده يجدر بي أن أعرف الصفة لغة واصطلاحاً؛ فأقول وبالله التوفيق:

تعريف الصفة لغة:

الصّفة في اللغة مأخوذة من المصدر الثلاثي" وصف"، يقول ابن فارس (ت٣٩٥هـ): " الواو والصّاد والفاء أصل واحد، وهو تحلية الشيء، ووصفتُه أصفه وصفاً، والصّفة:الأمارة اللازمة للشيء، كما يقال :وزنتُه وزناً، والزِّنة :قَدْرُ الشيء، يقال :اتصف الشيء في عين النّاظر :احتمل أن يوصف"[١].

ويقال: وصفته وصفاً: وعد نعته بما فيه...الصفة من الوصف، مثل العدة من الوعد، والجمع: صفات[٢]؛ فالصفة في اللغة تدل على معان كثيرة، منها: العلامة الدالة على الشيء الذي يتحلى به أو الأمارة، والوصف، والنعت.

والعلامة الدواني. ينظر: رسالة في إثبات الواجب – تحقيق/ محمد أكرم أبو غوش – صـ١٣٨– دار النور المبين للدراسات والنشر – الأردن – الطبعة الأولى – ١٤٣٤هـ–٢٠١٣م.

والإمام سراج الدين الأرموي. يراجع: الفرق بين نوعي العلم الإلهي والكلام – صـ٥٥.

(١) معجم مقاييس اللغة – لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا – تحقيق د. عبدالسلام محمد هارون – كتاب الواو – باب الواو والصاد وما يثلثهما – جـ٦ – صـ١١٥– ط دار الفكر العربي.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي – للعلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي – تحقيق د. عبدالعظيم الشناوي – كتاب الواو – صـ٦٦١– ط دار المعارف – القاهرة – الطبعة الثانية.

تعريف الصفة اصطلاحاً:

يعرف أبوالبقاء الكفوي (ت١٠٩٣هـ) الصفة بقوله: "الصفة هي ما وقع الوصف مشتقاً منها وهو دال عليها، وذلك مثل: العلم والقدرة ونحوه"[١].

وتُعرف أيضاً بأنها: "ما دل على معنى زائد على الذات"[٢].

وجاء في التمهيد عن الفرق بين الصفة والوصف أن "الصفة هي الشيء الذي يوجد بالموصوف أو يكون له، ويكسبه الوصف الذي هو النعت الذي يصدر عن الصفة...وأما الوصف؛ فهو قول الواصف لله تعالى، ولغيره بأنه عالم حي قادر منعم متفضل، وهذا الوصف الذي هو كلام مسموع أو عبارة عنه غير الصفة القائمة بالله تعالى التي لوجودها به يكون عالماً وقادراً ومريداً، وكذلك قولنا: زيد جي عالم قادر؛ إنما هو وصف لزيد وخبر عن كونه على ما اقتضاه وجود الصفات به، وهو قول يمكن أن يدخله الصدق والكذب، وعلم زيد وقدرته هما صفتان له موجودتان بذاته يصدر الوصف والاسم عنهما، ولا يمكن دخول الصدق والكذب فيهما"[٣]. وذلك مع الأخذ في الاعتبار "أن صفات القديم قديمة ولا تسمى أعراضاً، وصفات الحادث حادثة وتسمى أعراضاً"[٤].

صفات الله عز وجل عند الشيخ محمد عبده:

آمن الشيخ محمد عبده بالصفات الإلهية الوارد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية؛ ذاكراً لبعضها حيث يقول: "فالذي يوجبه علينا الإيمان هو أن نعلم أنه موجود

---

(١) الكليات – صـ٥٤٦.

(٢) التعليقات الدواني على جوهرة اللقاني جوهرة التوحيد – للعلامة شهاب الدين النفراوي المالكي – إعداد زياد حبوب – صـ٣١ – مجالس المذاهب.

(٣) التمهيد – للإمام القاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني – عني بتصحيحه الأب ريتشارد يوسف مكارثي اليسوعي – صـ٢١٣-٢١٥ – المكتبة الشرقية – بيروت – ١٩٥٧م.

(٤) حاشية على شرح الخريدة البهية – للعلامة الشيخ أحمد الصاوي – وبهامشه شرح الخريدة البهية – للعلامة الشيخ أبي البركات أحمد الدردير – صـ٤٤ – ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – القاهرة – ١٣٦٦هـ – ١٩٤٧م.

لا يشبه الكائنات، أزلي أبدى حي عالم مريد قادر، متفرد في وجوب وجوده، وفى كمال صفاته، وفى صنع خلقه، وأنه متكلم سميع بصير، وما يتبع ذلك من الصفات التي جاء الشرع بإطلاق أسمائها عليه"(١)، ومن هنا يظهر جلياً أن الشيخ محمد عبده سعى إلى إثبات صفات الله تعالي القائمة بذاته عز وجل بطريق النقل والعقل، وهذا هو منهج أهل السنة إذ قالوا: "إن الله تعالى موصوف بصفات الكمال، منزه عن النقيصة والزوال، ليست بأعراض تحدث وتنعدم؛ بل هي أزلية أبدية قديمة قائمة بذاته لا تشبه صفات الخلق بوجه من الوجوه"(٢).

لكن الشيخ محمد عبده مع ذلك وكعادته في رسالة التوحيد يحاول البعد عن أي خلاف أو نزاع قد يحدث شقاقاً داخل الأمة الإسلامية؛ حيث يقول: "أما كون الصفات زائدة على الذات(٣)، وكون الكلام صفة غير ما اشتمل عليه العلم من معانى الكتب السماوية، وكون السمع والبصر غير العلم بالمسموعات والمبصرات، ونحو ذلك من الشئون التي اختلف عليها النظار، وتفرقت فيها المذاهب؛ فمما لا يجوز الخوض فيه، إذ لا يمكن لعقول البشر أن تصل إليه، والاستدلال على شيء منه بالألفاظ الواردة ضعف في العقل وتغرير بالشرع، لأن استعمال اللغة لا ينحصر في الحقيقة، ولئن انحصر فيها فوضع اللغة لا تراعى فيه الوجودات بكنهها الحقيقي – وإنما تلك مذاهب فلسفة إن لم يصل فيها أمثالهم فلم يهتد فيها فريق إلى مَقْنَع (٤)فما علينا إلا الوقوف عندما تبلغه عقولنا وأن نسأل الله أن يغفر لمن آمن به وبما جاء به رسله ممن تقدمنا"(٥).

---

(١) رسالة التوحيد – صـ٥٢.

(٢) البداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين – للإمام نور الدين الصابوني – تحقيق د. فتح الله خليف – صـ٤٩ – ط دار المعارف – مصر – ١٩٦٩م.

(٣) جاء في النبراس: "وإنما أقام الشارح رحمه الله الدليل على زيادة الصفات مع أن المقام يقتضي إثبات الصفات فقط؛ اتباعاً للمشائخ في قولهم: إن إنكار زيادة الصفات إنكار للصفات" النبراس شرح شرح العقائد – العلامة محمد عبدالعزيز الفرهاري – صـ٢٧٥ – ط الأستانة.

(٤) المَقْنَع – بفتح الميم والنون وسكون القاف – من الشهود والقضاة: من يُرضى بقوله وقضائه، والجمع مَقانِع. معجم متن اللغة – الشيخ أحمد رضا – المجلد الرابع – مادة (ق. ن . ع) – صـ٦٦٢.

(٥) رسالة التوحيد – صـ٥٢.

ثم قسم الصفات تقسيماً جديداً مغايراً لمن سبقوه من علماء الكلام[1]، وطرح رؤية جديدة في نظرته للصفات لم تكن معهودة من قبل، أضفى عليها النزعة الإصلاحية التجديدية والتي تتسم بالبساطة واليسر بعيداً عن الجدل الفلسفي والجمود والتعقيد والتقليد والتأويلات الفلسفية والأهواء والنزاعات، والذي يدرك الشيخ محمد عبده جيداً أن ذلك كله لن يعود بنفع ولا فائدة على القارئ العامي؛ ليبين لنا في رسالته أنه يريد أن يجعل القارئ مستوعباً للمفاهيم العقدية بطريقة عقلية ميسرة؛ لأنه وضع سياقاً لرسالة التوحيد يتسم بالإصلاح والدعوة الإصلاحية بعيداً عن التمذهب والتفرق؛ وكان تقسيمه للصفات الإلهية على النحو الآتي:

أولاً: صفات البرهان:

وهي التي أرشد إليها البرهان، وجاءت الشريعة الإسلامية وما تقدمها من الشرائع المقدسة لتأييده والدعوة إليه بلسان الأنبياء – عليهم السلام –، من هذه الصفات ما يأتي:

القدم، والبقاء ، ونفي التركيب، وعدم قابليته – تعالى – للقسمة:

(١) قسم بعض الأشاعرة والماتريدية الصفات الإلهية إلى: أولاً: الصفة النفسية، وهي الدالة على نفس ذات الله سبحانه وتعالى، وتعرف بأنها: الصفة الواجبة للذات ما دامت الذات غير معللة بعلة، أو ما لا تعقل الذات بدونه، وهي صفة الوجود، ثانياً: الصفات السلبية، وهي كل صفة تسلب عن الله أمراً لا يليق بذاته المقدسة، وهي صفات: القدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية، ثالثاً: صفات المعاني، وهي كل صفة قائمة بموصوف موجبة له حكماً، وهي صفات: القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، ، والسمع، والبصر، والكلام، وزادت الماتريدية صفة التكوين أو الفعل وهي عندهم صفة مؤثرة، إن تعلقت بالخلق تسمى تخليقاً، وإن تعلقت بالرزق تسمى ترزيقاً، وإن تعلقت بالحياة تسمى إحياءً، وإن تعلقت بالموت تسمى إماتة...وهكذا، وإن كان التكوين أو الفعل عند الأشاعرة معنى إضافي حادث يرجع إلى صفتي: القدرة والإرادة، رابعاً: الصفات المعنوية، وهي الصفات التي تثبت لله سبحانه وتعالى نتيجة اتصافه بصفات المعاني والتي توضح قيام تلك المعاني بالذات، وهي صفات: كونه قادراً، وكونه مريداً، وكونه عالماً، وكونه حياً، وكونه سميعاً، وكونه بصيراً، وكونه متكلماً، خامساً: الصفات الخبرية أو السمعية، وهي الصفات الواردة في الكتاب والسنة؛ مثل: الوجه، واليد، والعين، والاستواء، والنزول، والمجيء، والإتيان، والجنب...إلخ. ينظر: حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد–ص١٠٧، وما بعدها، وتعليقات جديدة من الحواشي المعتبرة لأبي القاسم محمد إلياس الغجراتي على شرح العقائد النسفية للعلامة سعد الدين التفتازاني –ص١٤٤– الناشر إدارة الصديق – دابيل – غجرات – الهند – ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م.

فقد أثبت هذه الصفات مع الاستدلال عليها قائلاً: "من أحكام الواجب أن يكون قديماً أزلياً؛ لأنه لو لم يكن كذلك لكان حادثاً والحادث ما سبق وجوده بالعدم فيكون وجوده مسبوقاً بعدم وكل ما سبق بالعدم يحتاج إلى علة تعطيه الوجود وإلا لزم رجحان المرجوح بلا سبب وهو محال؛ فلو لم يكن الواجب قديماً لكان محتاجا في وجوده إلى موجد غيره والواجب ما كان وجوده لذاته فلا يكون ما فرض واجباً وهو تناقض محال.

ومن أحكامه أن لا يطرأ عليه عدم وإلا لزم سلب ما هو للذات عنها وهو يعود إلى سلب الشيء عن نفسه وهو محال بالبداهة.

ومن أحكامه أن لا يكون مركباً إذ لو تركب لتقدم وجود كل جزء من أجزائه على وجود جملته الثى هي ذاته وكل جزء من أجزائه غير ذاته بالضرورة فيكون وجود جملته محتاجا إلى وجود غيره... ولأنه لو تركب لكان الحكم له بالوجود موقوفاً على الحكم بوجود أجزائه... ولا يكون قابلاً للقسمة في أحد الامتدادات الثلاث أي لا يكون له امتداد؛ لأنه لو قبل القسمة لعاد بها إلى غير وجوده الأول وصار إلى وجودات متعددة وهى وجودات الأجزاء الحاصلة من القسمة فكون ذلك قبولاً للعدم أو تركباً وكلاهما محال"(١).

الحياة:

ومن الصفات التي أثبتها الشيخ محمد عبده؛ صفة الحياة، ويقول عنها: هي صفة تستتبع العلم والإرادة...وهي مصدر النظام وناموس الحكمة...ومما يعتبر كمالاً للوجود يتصف بها الواجب، وكل كمال وجودي يمكن أن يتصف به وجب أن يثبت له فواجب الوجود حي وإن باينت حياته الممكنات... ولو لم تثبت له هذه الصفة لكان في الممكنات ما هو أكمل منه وجوداً وقد تقدم أنه أعلى الموجودات وأكملها فيه

(١) رسالة التوحيد – صـ٣١،٣٢.

والواجب هو واهب الوجود وما يتبعه فكيف لو كان فاقدا للحياة يعطيها؟ فالحياة له كما أنه مصدرها[١].

العلم:

ومما أثبته لله تعالى كذلك صفة العلم، ويعرفها قائلاً: ومعنى العلم: ما به انكشاف شيء عند من ثبتت له تلك الصفة، وهذه الصفة من الصفات الوجودية التي تعد كمالاً في الوجود...ولو لم يكن الواجب عالماً لكان في الموجودات الممكنة ما هو أكمل من الموجود الواجب وهو محال... ومن أدلة ثبوت العلم للواجب ما نشاهده في نظام الممكنات من الإحكام والإتقان[٢]، ووضع كل شيء في موضعه، وقرن كل ممكن بما يحتاج إليه في وجوده وبقائه، وذلك ظاهر لجلى النظر بما يشاهد في الأعيان كبيرها وصغيرها علويها وسفليها؛ فهذه الروابط بين الكواكب والنسب الثابتة بينها وتقدير حركاتها على قاعدة تكفل لها البقاء على الوضع الذى قدر لها، وإلزام كل كوكب بمدار لو خرج منه لاختل نظام عالمه أو العالم بأسره، وغير ذلك مما فصل في علوم الهيئة الفلكية كل ذلك يشهد بعلم صانعه وحكمة مدبره[٣].

ثم نفى الشيخ محمد عبده أن يكون مجرد الاتفاق المسمى بالصدفة ينبوعاً لهذا النظام البديع، أو واضعاً لتلك القواعد التي يقوم عليها وجود الأكوان عظيمها وحقيرها؛ بل إن مبدع ذلك كله هو من لا يعزب علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وهو

---

(١) المرجع السابق – صـ٣٣،٣٤.

(٢) هذا الدليل استدل به الكثير من علماء المدارس الكلامية المختلفة قبل الشيخ محمد عبده. يراجع على سبيل المثال: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع – الإمام أبو الحسن الأشعري – صححه وعلق عليه: د. حمودة غرابة- صـ٢٤،٢٥–ط مطبعة مصر–١٩٥٥م، وكتاب التوحيد – للإمام أبي منصور الماتريدي – تحقيق: د. بكر طوبال أوغلي، د. محمد آروشي–صـ١٠٩– ط دار صادر بيروت – مكتبة الإرشاد – استنابول – المكتبة الشاذلية في باكستان، والمختصر في أصول الدين – للقاضي عبدالجبار – تحقيق د. محمد عمارة – صـ٢١٠.

(٣) رسالة التوحيد – صـ٣٥،٣٦، ورسالة الواردات في نظريات المتكلمين والصوفية في الفلسفة الإلهية – صـ٨، والتعليقات على شرح الدواني للعقائد العضدية – للسيد جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده – إعداد وتقديم: سيد هادي خسرو شاهي – صـ٣٤٩ – مكتبة الشروق الدولية – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م

السميع العليم[١]، قال عز من قائل: (عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)[٢].

الإرادة:

يذكر بعد ذلك الشيخ محمد عبده صفة الإرادة، ويعرفها: بأنها "صفة تخصص فعل العالم بأحد وجوهه الممكنة"[٣]، بمعنى الأمور المتقابلة التي تخصصها صفة الإرادة، والتي لا تجتمع؛ كالوجود، والعدم، والزمان، والمكان ، والصفة، والجهة، والمقدار، والمجموعة في قول بعضهم:

الممكنات المتقابلات * وجودنا والعدم الصفات أزمنة

أمكنة جهات * كذا المقادير روى الثقات

فالله تعالى يخصص ويرجح بهذه الصفة أحد هذه الوجوه في كل ممكن.

واستدل عليها بقوله: "بعد ما ثبت أن واهب وجود الممكنات هو الواجب وأنه عالم، وأن ما يوجد من الممكن لا بد أن يكون على وفق علمه ثبت بالضرورة أنه مريد لأنه إنما يفعل على حسب علمه. ثم إن كل موجود فهو على قدر مخصوص وصفة معينة وله وقت ومكان محدودان وهذه وجوه قد خصصت له دون بقية الوجوه الممكنة وتخصيصها كان على وفق العلم بالضرورة"[٤].

القدرة:

يثبت الشيخ محمد عبده لله تعالى صفة القدرة قائلاً: "ومما يجب له القدرة، وهى صفة بها الإيجاد والإعدام"[٥].

---

(١) رسالة التوحيد – صـ٣٨.

(٢) سورة سبأ – الآية ٣.

(٣) رسالة التوحيد – صـ٣٩.

(٤) رسالة التوحيد – صـ٣٩، ورسالة الواردات في نظريات المتكلمين والصوفية في الفلسفة الإلهية – صـ١٢،١٣.

(٥) المرجع السابق – صـ٤٠.

وقدرته تعالى عامة وشاملة لكل ما وجد وما يوجد من الممكنات، فهي صالحة التعلق بكل ما في الإمكان أن يوجد ؛ فكل ممكن ينتهي لا محالة إلى القادر الذي له الفعل والترك، أو إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل[١].

واستدل عليها قائلاً: " ولما كان الواجب هو مبدع الكائنات على مقتضى علمه وإرادته فلا ريب يكون قادراً بالبداهة؛ لأن فعل العالم المريد فيما علم وأراد إنما يكون بسلطة له على الفعل ولا معنى للقدرة إلا هذا السلطان"[٢].

الاختيار:

ينتقل الشيخ محمد عبده بعد ذلك إلى إثبات صفة الاختيار مبيناً أن ثبوتها متعلق بصفات العلم والإرادة والقدرة، حيث يقول: "ثبوت هذه الصفات الثلاث يستلزم بالضرورة ثبوت الاختيار، إذ لا معنى له إلا إصدار الأثر بالقدرة على مقتضى العلم وعلى حكم الإرادة فهو الفاعل المختار، ليس من أفعاله ولا من تصرفه في خلقه ما يصدر عنه بالعلية المحضة والاستلزام الوجودي بدون شعور ولا إرادة، وليس من مصالح الكون ما يلزمه مراعاته لزوم تكليف بحيث لو لم يراعه لتوجه عليه النقد فيأتيه تنزها عن اللائمة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً"[٣].

الوحدة:

ثم أثبت لله تعالى صفة الوحدة في الذات والوصف والوجود والفعل ذاكراً أن " الوحدة الذاتية تثبت بنفي التركيب في ذاته خارجاً وعقلاً[٤]، وأما الوحدة في الصفة أي إنه لا يساويه في صفاته الثابتة له موجود، فلكون الصفة تابعة لمرتبة الوجود وليس في الموجودات ما يساوى واجب الوجود في مرتبة الوجود؛ فلا يساويه فيما يتبع الوجود

---

(١) التعليقات على شرح الدواني للعقائد العضدية – صـ٤٢٠، والعقيدة المحمدية – الشيخ محمد عبده – صـ٢٥ – ط مطبعة المنار – مصر – الطبعة الثانية – ١٣٤٤هـ–١٩٢٥م.

(٢) رسالة التوحيد – صـ٤٠.

(٣) المرجع السابق – صـ٤٠.

(٤) مر سابقاً الأدلة على نفي التركيب عند الحديث عن صفات: القدم، والبقاء، ونفي التركيب، وعدم قابليته – تعالى – للقسمة.

من الصفات، وأما الوحدة في الوجود وفى الفعل ونعنى بها التفرد بوجوب الوجود وما يتبعه من إيجاد الممكنات فهي ثابتة لأنه لو تعدد واجب الوجود لكان لكل من الواجبين تعين يخالف تعين الآخر بالضرورة وإلا لم يتحصل معنى التعدد، وكلما اختلفت التعينات اختلفت الصفات الثابتة للذوات المتعينة؛ لأن الصفة إنما تتعين وتنال تحققها الخاص بها بتعين ما ثبتت له بالبداهة؛ فيختلف العلم والإرادة باختلاف الذوات الواجبة، إذ يكون لكل واحدة منها علم وإرادة يباينان علم الأخرى وإرادتها، ويكون لكل واحدة علم وإرادة يلائمان ذاتها وتعينها الخاص بها... فلو تعدد الواجبون لتخالفت أفعالهم بتخالف علومهم وإرادتهم، وهو خلاف يستحيل معه الوفاق، وكل واحد بمقتضى وجوب وجوده وما يتبعه من الصفات له السلطة على الإيجاد في عامة الممكنات؛ فكل له التصرف في كل منها على حسب علمه وإرادته، ولا مرجح لنفاذ إحدى القدرتين دون الأخرى؛ فتتضارب أفعالهم حسب التضارب في علومهم وإرادتهم فيفسد نظام الكون؛ بل يستحيل أن يكون له نظام بل يستحيل وجود ممكن من الممكنات؛ لأن كل ممكن لا بد أن يتعلق به الإيجاد على حسب العلوم والإرادات المختلفة فيلزم أن يكون للشيء الواحد وجودات متعددة وهو محال فلو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا[(١)]؛ لكن الفساد ممتنع بالبداهة فهو جل شأنه واحد في ذاته وصفاته لا شريك له في وجوده ولا في أفعاله"[(٢)].

ومن هنا يتضح لنا أن الشيخ محمد عبده يصف الله تعالى بأنه غير قابل للتركيب وأنه لا يساويه في صفاته الثابتة أي موجود، كما أنه متفرد بوجوب الوجود وما يتبعه

---

(١) قال تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.يقول العلامة الزمخشري: "والمعنى: لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذي فاطرهما، لفسدتا، وفيه دلالة على أمرين: أحدهما: وجوب ألا يكون مدبرهما إلا واحداً، والثاني: ألا يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده". الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل– للعلامة جار الله أبس القاسم محمود بن عمر الزمخشري – بتحقيق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، وآخرين – جـ٤ – صـ١٣٦،١٣٧ – مكتبة العبيكان – الرياض – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى – ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

(٢) رسالة التوحيد – صـ٤١،٤٢، والتعليقات على شرح الدواني للعقائد العضدية – للسيد جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده – صـ٤٤٨ وما بعدها، وشرح العقيدة الأصفهانية – ابن تيمية – صـ١٨– الناشر مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.

من خلق المخلوقات أو إيجاد الممكنات؛ فالله سبحانه واحد في الذات والصفات والوجود والفعل.

وهذا الدليل يشبه إلى حد بعيد برهان التمانع الذي يُعد - عند الكثير من أهل الكلام - من أبرز البراهين العقلية المهمة في إثبات الوحدانية لله عز وجل ونفي الشرك والتعدد، مع أنه أوضح من دليل الشيخ محمد عبده.

وملخص برهان التمانع هو: أنه لو فرضنا وجود إلهين يتصف كل منهما بصفات: العلم والقدرة والإرادة وغيرها من الصفات الإلهية، وأراد أحدهما أن يحيي إنساناً وأراد الآخر أن يميته؛ لم يخل من ثلاثة أمور: الأول: أن يتم مرادهما جميعاً.

الثاني: ألا يتم مرادهما. الثالث: أن يتم مراد أحدهما دون الآخر.

والأول مستحيل؛ لأنه يستحيل أن يكون الجسم حياً ميتاً في حال واحدة.

والثاني يدل على عجزهما، والعاجز لا يكون إلهاً ولا قديماً.

والثالث ممتنع؛ لأنه إن تم مراد أحدهما دون الآخر وجب عجز من لم يتم مراده منهما، والعاجز لا يكون إلهاً ولا قديماً؛ إذن صانع الأشياء واحد [١].

ويؤيد الشيخ محمد عبده كلامه على مقصده من صفة الوحدة بأن الدين الإسلامي هو دين توحيدي؛ قائلاً: "جاء الدين الإسلامي بتوحيد الله تعالى في ذاته وأفعاله وتنزيهه عن مشابهة المخلوقين؛ فأقام الأدلة على أن للكون خالقاً واحداً متصفاً بما دلت عليه آثار صنعه من الصفات العلية كالعلم والقدرة والإرادة وغيرها، وعلى أنه لا يشبهه شيء من خلقه، وأن لا نسبة بينه وبينهم إلا أنه موجدهم وأنهم له وإليه راجعون قل هو الله أحد ألله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد"[٢].

---

[١] ينظر: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع – الأشعري – صـ٢٠،٢١، والقول الفصل شرح الفقه الأكبر للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان – شرحه محيي الدين محمد بن بهاء الدين – صـ١٢٧،١٢٨ – مكتبة الحقيقة – استانبول – تركيا – ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

[٢] رسالة التوحيد – صـ١٥٢.

كما أنه " نص الكتاب على أن دين الله في جميع الأزمان هو: إفراده بالربوبية والاستسلام له وحده بالعبودية وطاعته فيما أمر به ونهى عنه؛ مما هو مصلحة للبشر وعماد لسعادتهم في الدنيا والآخرة، وقد ضمنه كتبه التي أنزلها على المصطفين من رسله ودعا العقول إلى فهمه منه والعزائم إلى العمل به"[١]؛ فالشيخ هنا – وعلى طريقة علماء التوحيد –يثبت لله تعالى التوحيد بركنيه الرئيسين: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية.

ثانياً: الصفات السمعية:

وهي الصفات التي جاء ذكرها على لسان الشرع، ولا يحيلها العقل إذا حُملت على ما يليق بواجب الوجود، ولكن لا يهتدى إليه النظر وحده ويجب الاعتقاد بأنه جل شأنه متصف بها اتباعاً لما قرره الشرع وتصديقا لما أخبر به، مثل: الكلام، والسمع والبصر.

الكلام:

صفة الكلام من الصفات السمعية التي أثبتها الشيخ محمد عبده لله عز وجل؛ حيث يقول عند حديثه عن هذه الصفة والتي عدها من الصفات السمعية: " فمن تلك الصفات: صفة الكلام؛ فقد ورد أن الله كلم بعض أنبيائه، ونطق القرآن[٢] بأنه كلام الله؛ فمصدر الكلام المسموع عنه سبحانه لا بد أن يكون شأناً من شؤونه قديما بقدمه"[٣].

والملاحظ هنا أن الشيخ محمد عبده تحدث فقط عن الدليل على صفة الكلام، ولم يذكر تعريفها أو ما المقصود منها.

وذكر الشيخ محمد عبده – بصورة موجزة – فتنة القول بخلق القرآن والخلاف الذي حدث في أوائل القرن الثالث الهجري حول هذه المسألة، لاسيما وأن هذه الصفة

(١) رسالة التوحيد – صـ١٦٤.

(2) قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ سورة النساء: الآية ١٦٤، وقال عز وجل: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ سورة التوبة: الآية ٦.

(٣) المرجع السابق – صـ٤٤،٤٥.

زلت فيها أقدام كثيرة، كما ضل عن الحق أقوام عديدة؛ لكن الشيخ محمد رشيد رضا أشار في تعليقه على هذه القضية بأن الشيخ محمد عبده لالتزامه بتقرير مذهب السلف في رسالة التوحيد فقد أمر بحذف هذه المسألة؛ حيث يقول: "وقد حذفنا في هذا الموضع نحو صفحة من الرسالة في مسألة الخلاف في خلق القرآن عملاً بأمر المؤلف – يقصد الشيخ محمد عبده – إذ كتب بخطه في طرة نسخته ما نصه "في الطبعة الثانية بحذف القول في خلق القرآن" وبين لنا السبب في ذلك في الدرس فقال: إنه التزم في الرسالة مذهب السلف، وهذه المسألة من البدع التي ليست من مذهبهم"[١]. وهنا يتبين لنا أن الشيخ محمد عبده نأى بنفسه عن الخوض في هذه المسألة؛ لأنها من الأمور المبتدعة التي لم تكن موجودة من قبل وبخاصة في عصر السلف الصالح.

وذلك لأن الهدف الرئيس من الإصلاح الديني عنده هو: "تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف هذه الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع إلى كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى، واعتباره ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه، وتقلل من خلطه وخبطه، لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الإنساني، وأنّه على هذا الوجه يعد صديقاً للعلم، باعثاً على البحث في أسرار الكون، داعياً إلى احترام الحقائق الثابتة، مطالباً بالتعويل عليها في أدب النفس وإصلاح العمل ...كل هذا أعده أمراً واحداً"[٢]، لكن من المؤكد أن بعض الفرق الإسلامية قد انحرفت انحرافاً شديداً في فهم هذه المسألة[٣] مما جعلهم يعارضون ما جاء به المنهج القرآني والمنهج النبوي وما كان عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين، واستعان بعضهم بقوة السلطان لتأييد رأيه؛ فقد تأثر بعض الخلفاء العباسيين بهذا الرأي واعتنقوه

---

(١) نفس المرجع – هامش صـ٤٧.

(٢) الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده– تحقيق وتقديم د. محمد عمارة – جـ١– صـ١٨٣،١٨٤.

(٣) يقول إمام الحرمين الجويني: فقد ذهبت المعتزلة والخوارج والزيدية والإمامية، ومن عداهم من أهل الأهواء إلى أن كلام الباري، تعالى عن قول الزاغين، حادث مفتتح الوجود، وصار صائرون من هؤلاء إلى الامتناع من تسميته مخلوقاً مع القطع بحدوثه، لما في لفظ المخلوق من إيهام الخلق...وأطلق معظم المعتزلة لفظ المخلوق على كلام الله تعالى. ينظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد–لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني – بتحقيق د. أحمد السايح، والمستشار توفيق علي وهبة – صـ٩٣،٩٤ – الناشر مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م.

ودافعوا عنه، وقد أحسن الشيخ حين بعد عن هذه الخلافات والنزاعات التي لا طائل من ورائها، كما أن الخوض فيها يؤدي إلى الزيغ والبدع والشطط والغلو في الدين ولن يعود بالنفع على الإسلام والمسلمين.

السمع والبصر:

من الصفات السمعية التي أثبتها الشيخ محمد عبده لله سبحانه وتعالى صفتا: السمع والبصر، حيث يقول: "ومما ثبت له بالنقل[١] صفة البصر، وهي ما به تتكشف المبصرات، وصفة السمع، وهي ما به تتكشف المسموعات؛ فهو السميع البصير؛ لكن علينا أن نعتقد أن هذا الانكشاف ليس بآلة ولا جارحة ولا حدقة ولا باصرة مما هو معروف لنا"[٢]، والذي يفهم من كلام الشيخ محمد عبده أنه يثبت لله تعالى كلاً من صفتي السمع والبصر بلا تشبيه أو تجسيم أو تكييف أو تعطيل؛ لأن الله تعالى منزه عن ذلك كله.

وبعد أن ذكر الشيخ محمد عبده بعض الصفات الإلهية تحدث عن كلام في الصفات إجمالاً داعياً الأمة إلى التفكر في مخلوقات الله وعدم التفكر في ذاته سبحانه وتعالى مستدلاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا"[٣]. لأن غاية ما ينتهي إليه عقل البشر هو الوصول إلى معرفة عوارض

---

(١) قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) سورة النساء: الآية ٥٨، وقال عز وجل: (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) الإسراء: الآية ١، وسورة غافر: الآية ٥٦، وقال سبحانه وتعالى: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) سورة غافر: الآية ٢٠.

(٢) رسالة التوحيد – صـ٤٦– ٤٨، و التعليقات على شرح الدواني للعقائد العضدية – للسيد جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده – صـ٤٤٢.

(٣) الحديث ورد بألفاظ مغايرة؛ لكن يتفق مع هذا المعنى. ينظر: الترغيب والترهيب – للإمام الحافظ أبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني – اعتنى به أيمن بن صالح – المجلد الأول – صـ٣٨٨ – حديث رقم ٦٦٨ – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، والمعجم الأوسط – للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني – بتحقيق قسم التحقيق بدار الحرمين – جـ٦ – صـ٢٥٠ – حديث رقم ٦٣١٩ – الناشر دار الحرمين – القاهرة – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، وشعب الإيمان – للإمام أبي بكر بن الحسن البيهقي – بتحقيق أبي هاجر محمد السعيد – جـ١ – صـ١٣٦ – حديث رقم ١٢٠– دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، وذكره الشيخ السخاوي في المقاصد الحسنة بروايات كثيرة، ثم قال: وأسانيدها ضعيفة؛ لكن اجتماعها يكتسب قوة، والمعنى صحيح. ينظر: المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة – للعلامة الشيخ

بعض الكائنات التي تقع تحت الإدراك الإنساني...وأما الوصول إلى كنه حقيقة ما فمما لا تبلغه قوته...والنظر في الخلق يهدي بالضرورة إلى المنافع الدنيوية، ويضيء للنفس طريقها إلى معرفة من هذه آثاره، وعليها تجلت أنواره...وأما الفكر في ذات الخالق؛ فهو طلب للاكتناه، كما أنه ممتنع على العقل البشري...ولهذا لم يأت الكتاب العزيز وما سبقه من الكتب إلا بتوجيه النظر إلى المصنوع لينفذ منه إلى معرفة وجود الصانع وصفاته الكمالية، وأما كيفية الاتصاف فليس من شأننا أن نبحث فيها.[١]



محمد عبدالرحمن السخاوي – دراسة وتحقيق د. محمد عثمان الخشت – صـ٢٦٠-٢٦١ – حديث رقم ٣٤٢ – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

(١) رسالة التوحيد – صـ٤٨ وما بعدها – بتصرف.

المبحث الخامس

أفعال الله تعالى

لله عز وجل أفعال عظيمة وحكيمة، تقوم على العدل والرحمة، وهي من المسائل المهمة التي دار حولها خلاف بين المتكلمين، ويطلق عليها صفات الأفعال، "وهي تسميات مشتقة من أفعاله، ورد السمع بها، مستحقة له فيما لا يزال دون الأزل[١]؛ لأن الأفعال التي اشتقت منها لم تكن في الأزل، وهو كوصف الواصف له بأنه: خالق، رازق، محيي، مميت، منعم، مفضل".[٢]

وجاء في كتاب الكليات بأن "ما لا يلزم من نفيه نقيصة فهو من صفات الفعل؛ كالإحياء، والإماتة، والخلق، والرزق".[٣]

ويعرف الإمام أبو منصور الماتريدي صفات الفعل قائلاً: "كل صفة يوصف الله تعالى بضدها فهي من صفات الفعل؛ كالخالق".[٤]

---

(١) لأنه كما جاء في كتاب المعتقد المنتقد: "لا خلاف بين أهل السنة في كونه تعالى خالقاً ورازقاً، محيياً ومميتاً ونحو ذلك في الأزل، بمقتضى ذاته عند الماتريدية، وبمعنى أنه سيخلق عند الأشاعرة، وإنما الخلاف في الترزيق، والتخليق، والإحياء، والإماتة، ونحوها المعبر عنها بالتكوين؛ فعند الماتريدية كالأول قديمة، وعند الأشعرية حادثة لكونها عبارة عن تعلقات القدرة". يراجع: المعتقد المنتقد للعلامة فضل الرسول القادري البركاتي البدايوني – مع شرحه المسمى المستند المعتمد بناء نجاة الأبد للعلامة أحمد رضا القادري البركاتي البريلوي – ويليهما حدوث الفتن وجهاد أعيان السنن للعلامة محمد أحمد الأعظمي المصباحي – صـ٤٧ – الناشر رضا أكاديمي – مومباي – الهند – الطبعة الأولى – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٢) مختصر الاعتقاد للإمام البيهقي – تأليف الإمام عبدالوهاب الشعراني – قدم له د. جودة محمد أبواليزيد المهدي – دراسة وتحقيق يوسف رضوان الكود – صـ٢١٣ – دارة الكرز – القاهرة – الطبعة الأولى – ٢٠٠٨م.

(٣) الكليات– أبو البقاء الكفوي – صـ٥٤٨.

(٤) شرح الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة – شرحه الإمام أبو منصور الماتريدي – عني بطبعه ومراجعته عبدالله بن إبراهيم الأنصاري – صـ١٠٨ – طبع على نفقة الشؤون الدينية – قطر.

وهذه الصفات تتعلق بعلمه سبحانه وقدرته وإرادته ومشيئته واختياره، يقول الإمام أبو عبدالله السنوسي (ت٨٩٥هـ): "وأما صفات الأفعال فهي عبارة عن صدور الآثار عن قدرته وإرادته جل وعلا"[١].

ويؤكد الشيخ محمد عبده على صدور الأفعال الإلهية عن الله تعالى بطريق العلم والإرادة مع الدليل عليها قائلاً: " أفعال الله صادرة عن علمه وإرادته...وكل ما صدر عن علم وإرادة فهو عن الاختيار، ولا شيء مما يصدر عن الاختيار بواجب على المختار لذاته؛ فلا شيء من أفعاله بواجب الصدور عنه لذاته؛ فجميع صفات الأفعال من: خلق ورزق وإعطاء ومنع وتعذيب وتنعيم مما يثبت له تعالى بالإمكان الخاص[٢]؛ فلا يطوفن بعقل عاقل بعد تسليم أنه فاعل عن علم وإرادة أن يتوهم أن شيئاً من أفعاله واجب عنه لذاته كما هو الشأن في لوازم الماهيات أو في اتصاف الواجب بصفاته مثلاً؛ فإن ذلك هو التناقض البديهي الاستحالة"[٣]. فهو يثبت هنا أن صفات الأفعال ثابتة لله تعالى بطريق الإمكان الخاص لا بطريق الوجوب، بمعنى أنه لا يتحتم فعله عقلاً؛ كما لا يمتنع فعله عقلاً كذلك؛ فالله تعالى له الفعل والترك، ولا يجب عليه فعل شيء؛ بل هو المتصرف المطلق، والفاعل المختار الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد في الوقت الذي يشاؤه ويريده.

كما يؤكد كذلك اتفاق الجميع على أن أفعاله تعالى لا تخلو من حكمة...وأنه تعالى منزه عن العبث في أفعاله والكذب في أقواله...ووجوب الحكمة في أفعاله تابع لوجوب الكمال في علمه وإرادته[٤].

---

(١) شرح العلامة أبي عبدالله محمد بن يوسف بن عمر السنوسي الحسني المسمى بعمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى – صـ١٠٨ – مطبعة جريدة الإسلام بمصر – ١٣١٦هـ.

(٢) الإمكان الخاص: هو سلب الضرورة عن الطرفين؛ نحو كل إنسان كاتب؛ فإن الكتابة وعدم الكتابة ليس بضروري له. انظر: التعريفات صـ١٣٧، وموسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي – د. سميح دغيم – جـ١– صـ٢٣٤ – حرف الألف – مكتبة لبنان – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٩٩٨م.

(٣) رسالة التوحيد – صـ٥٣.

(٤) المرجع السابق – صـ٥٤–٥٧.



تعليل[١] أفعال الله تعالى:

ثم يتطرق الشيخ محمد عبده بعد ذلك إلى الحديث عن مسألة أخرى مهمة شغلت أفكار المتكلمين والمفكرين، وهي مسألة رعاية المصلحة في أفعال الله تعالى، وما يتبع ذلك من وقوع أعماله تحت العلل والأغراض، وحدثت خلافات كبيرة حول هذه المسألة، حيث يقول: " بقيت علينا جولة نظر في تلك المقالات الحمقى التي اختبط[٢] فيها القوم اختباط إخوة تفرقت بهم الطرق في السير إلى مقصد واحد؛ حتى إذا التقوا في غسق الليل صاح كل فريق بالآخر صيحة المستخبر؛ فظن كل أن الآخر عدو يريد مقارعته على ما بيده؛ فاستحر بينهم القتال، ولا زالوا يتجالدون حتى تساقط جلهم دون المطلب، ولما أسفر الصبح وتعارفت الوجوه رجع الرشد إلى من بقى وهم الناجون، ولو تعارفوا من قبل لتعاونوا جميعاً على بلوغ ما أملوا ولو وافتهم الغاية إخواناً بنور الحق مهتدين.

نريد تلك المقالات المضطربة في أنه يجب على الله رعاية المصلحة في أفعاله، وتحقيق وعيده فيمن تعدى حدوده من عبيده وما يتلو ذلك من وقوع أعماله تحت العلل والأغراض.

فقد بالغ قوم في الإيجاب[٣]؛ حتى ظن الناظر في مزاعمهم أنهم عدوه واحداً من المكلفين يفرض عليه أن يجهد للقيام بما عليه من الحقوق وتأدية ما لزمه من الواجبات؛ تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

---

(١) التعليل لغة: إظهار علة الشيء، يقال علل الأمر تعليلاً: إذا بين علته ، وأثبته بالدليل فهو تقرير ثبوت المؤثر لإثبات الأثر. انظر: التعاريف– محمد عبد الرؤوف المناوي– جـ١ – صـ١٨٩– دار الفكر المعاصر – بيروت – دمشق – الطبعة الأولى –١٤١٠هـ.
والتعليل اصطلاحاً: المعنى الذي عند حدوثه يحدث الحكم. ينظر: الفصول في الأصول – أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي – جـ٤ – صـ٩ – وزارة الأوقاف الكويتية – ١٤١٤ هـ – ١٤٩٤م.

(٢) يقال: اختبطت البلاد: أي وقعت فيها الفتن والغارات. ينظر: المعجم الوسيط – مادة (خبط) – صـ٢١٦ – ط مكتبة الشروق الدولية – الطبعة الرابعة – ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

(٣) ومن هؤلاء: المعتزلة. للرجوع إلى رأيهم في هذه المسألة ينظر: المغني في أبواب العدل والتوحيد – للقاضي عبدالجبار – بتحقيق الأب جورج قنواتي – جـ١١ – صـ٩٢،٩٣ – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر – ١٩٦٣م، وشرح الأصول الخمسة



وغلا آخرون في نفى التعليل عن أفعاله(١) حتى خيل للممعن في مقالاتهم أنهم لا يرضونه إلا قلباً يبرم اليوم ما نقضه بالأمس، ويفعل غداً ما أخبر بنقيضه اليوم، أو غافلاً لا يشعر بما يستتبعه عمله، (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ) (٢)، وهو أحكم الحاكمين وأصدق القائلين جبروت الله وطهارة دينه أعلى وأرفع من هذا كله"(٣).

ولا شك أن الشيخ محمد عبده هنا يبعد في هذه المسألة عن رأي أهل السنة الأشاعرة ومن تبعهم؛ بل إنه متحامل عليهم، والحق الذي لا ينكر وما نستحسنه ونميل إليه هو أن أفعال الله تعالى غير معللة بالغايات والأغراض والحاجات والمقاصد؛ فهي ليست تابعة لعلل غائية(٤) أو أية أغراض أو حاجات أو مقاصد؛ فإرادة الله تعالى محضة

– للقاضي عبدالجبار – بتعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم – حققه وقدم له د. عبدالكريم عثمان – صـ٥١٠ وما بعدها – الناشر مكتبة وهبة – القاهرة – الطبعة الثالثة – ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

وأكثر الماتريدية. للرجوع إلى رأيهم في هذه المسألة انظر: نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريدية والأشعرية في العقائد مع ذكر أدلة الفريقين – العلامة عبدالرحيم بن علي الشهير بشيخ زاده – صـ٢٧ – المطبعة الأدبية بسوق الخضار القديم بمصر – الطبعة الأولى – ١٣١٧هـ، وحاشية الشيخ إسماعيل الكلنبوي على شرح جلال الدين الدواني الصديقي على العقائد العضدية لعضد الدين الإيجي – جـ٢ – صـ٢٠٨ –المطبعة العثمانية – دار سعادت – ١٣١٦هـ.

وجمهور أهل السنة والجماعة، والشيعة، والكرامية، ومعظم الفقهاء. للرجوع إلى آرائهم في هذه المسألة ينظر: مجموع الفتاوى – لابن تيمية – جـ٨ – صـ٥٧،٥٨، ٢٢٧،٢٥٧– بتحقيق أنور الباز، وعامر الجزار – ط دار الوفاء – المنصورة – الطبعة الثالثة – ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ومنهاج السنة النبوية – لابن تيمية – بتحقيق د. محمد رشاد سالم – جـ١ – صـ٤٥٥ – مؤسسة قرطبة – الطبعة الأولى – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

(١) ومن هؤلاء: الظاهرية. للرجوع إلى رأيهم في هذه المسألة ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل – للإمام ابن حزم الظاهري – وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني – جـ٣ – صـ١٠١،١٠٢ – مكتبة السلام العالمية – القاهرة.

والأشاعرة. للرجوع إلى رأيهم في هذه المسألة ينظر: اللمع – للإمام الأشعري – صـ١١٥ وما بعدها، وغاية المرام في علم الكلام – للإمام سيف الدين الآمدي – تحقيق حسن محمود عبداللطيف – صـ٢٢٤ – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – الكتاب الرابع والعشرون – القاهرة – ١٣٩١هـ – ١٩٧١م، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء المتكلمين – الرازي – صـ٢٠٥ – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة.

والفلاسفة. للرجوع إلى رأيهم في هذه المسألة ينظر: الإشارات والتنبيهات – الجزء الثالث – في علم ما قبل علم الطبيعة – للشيخ الرئيس أبي علي ابن سينا – مع الشرح للمحقق نصير الدين الطوسي – وشرح الشرح للعلامة قطب الدين محمد بن أبي جعفر الرازي – صـ٥٠ وما بعدها – ط مطبعة القدس – قم – الناشر نشر البلاغة – قم – سوق القدس – إيران – الطبعة الثانية.

(٢) سورة الصافات – الآية ١٨٠.

(٣) رسالة التوحيد – صـ٥٣،٥٤.

(٤) العلة الغائية هي: المحركة للفاعل على الفعل، والداعية إليه، المترتبة عليه غالباً، وهي المسماة بالغرض، فهي التي يكون وجود الشيء لأجلها؛ كالجلوس على السرير. ينظر: البراهين القاطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة – محمد جعفر الأستراباذي المعروف بـ"شريعتمدار"



وتامة وكاملة ولا يشوبها أي معنى من معاني الجبر أو الإكراه، إذ إن الله عز وجل يفعل ما يشاء بمحض إرادته، دون أن يكون هناك باعث أو دافع على أفعاله تعالى؛ لأنه سبحانه ليس في حاجة لذلك، قال عز وجل: (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)(1)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ). (2)

فالعلة الغائية منفية عن أفعال الله عز وجل، والباري عز وجل يتنزه عن كون أفعاله تتصف بالتعليل؛ فالله تعالى خلق العالم وأبدعه بدون أن يكون هناك داع أو باعث أو غرض إلى ذلك الفعل، وكل فعل إلهي كذلك، وما ذكره أصحاب الرأي القائل بالتعليل في أفعال الله من أن: الفعل الخالي عن الغرض عبث، وهو قبيح يجب تنزيه الله سبحانه وتعالى عن ذلك، وما استدلوا به مما يوهم أن في أفعال الله عللاً غائية بسب وجود لام التعليل في الآيات؛ مثل قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ). (3)

وقوله عز من قائل: (وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُورًا . لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنا أَنْعامًا وَأَناسِيَّ كَثِيرًا). (4)

فاللام هنا في الآيات القرآنية ليست لام تعليل حقيقية؛ وإنما هي لام تعليل جعلية، أي جعل خلق الجن والإنس للعبادة، وجعل نزول الماء الطهور من السماء ليحيي به بلدة ميتاً وسقية للأنعام والأناسي.

– جـ1 – صـ251 – مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية – قسم إحياء التراث الإسلامي – الناشر مؤسسة بوستان كتاب قم – مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي – الطبعة الأولى – 1424هـ، والمعجم الفلسفي – د. جميل صليبا – جـ2 – صـ96 – دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة – بيروت – لبنان – 1982م.

وورد في شرح النجاة لابن سينا: أن الغاية تتأخر في حصول الوجود على المعلول؛ لكنها تتقدم سائر العلل في الشيئية. ينظر: شرح كتاب النجاة لابن سينا – قسم الإلهيات – لفخر الدين الإسفراييني النيسابوري – تقديم وتحقيق د. حامد ناجي أصفهاني – صـ85 – دانشكاه – طهران. 1383هـ.

(1) سورة الأنبياء – الآية23.

(2) سورة فاطر – الآية15.

(3) سورة الذاريات – الآية56.

(4) سورة الفرقان – الآيتان48،49.

وقد تكون لام المآل والصيرورة؛ مثل قوله تعالى:

(وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) [١].

والقول بأن أفعال الله تعالى تكون حكمة بعلل متعقبة أو مقترنة أو سابقة يؤدي إلى استحالة القول بحدوث العالم وقدم مُحدثه، وذلك أنه لو كان كذلك لم تخل تلك العلل من أن تكون قديمة أو حادثة؛ فإن كانت قديمة وجب لقدمها قدم معلولها، وهو الفعل الواقع لأجلها لاستحالة تقدم العلة على معلولها، وإن كانت حادثة ولعلل ما صارت حكمة اقتضت العلل عللاً إلى ما لا نهاية لها وذلك محال؛ فعُلم أن إجراء هذا القول وطرده يؤدي إلى القول بحدوث معان لا تتناهى وذلك محال، أو إلى القول بقدم ما هو أفعال وذلك أيضاً محال. [٢]



(١) سورة الجاثية – الآية ٢٢.

(٢) مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري – من إملاء الشيخ الإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك – عني بتحقيقه دانيال جيماريه – صـ١٤١ – دار المشرق – بيروت – لبنان – المطبعة الكاثوليكية – ١٩٨٧م.

المبحث السادس

أفعال العباد

مما لا شك فيه أن الخلاف حول مسألة تعليل أفعال الله نتج عنه الخلاف في مسائل أخرى مهمة، من أبرزها مسألة أفعال العباد؛ التي كانت ولا زالت مثار اهتمام العقل الإنساني قديماً وحديثاً، كما كانت موضع خلاف كبير بين الكثير من الفرق الإسلامية: كالجبرية، والقدرية، والمعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية، والسلف(١).

ويذهب الشيخ محمد عبده في مسألة أفعال العباد إلى أن العبد يكسب بإرادته وقدرته أفعاله الحرة؛ حيث يقول: "كما يشهد سليم العقل والحواس من نفسه أنه موجود ولا يحتاج في ذلك إلى دليل يهديه ولا معلم يرشده. كذلك يشهد أنه مدرك لأعماله الاختيارية يزن نتائجها بعقله ويقدرها بإرادته، ثم يصدرها بقدرة ما فيه ويعد إنكار شيء من ذلك مساوياً لإنكار وجوده في مجافاته لبداهة العقل"(٢).

---

(١) ملخص آراء الفرق الإسلامية في مسألة أفعال العباد كالتالي:

أ – الجبرية أتباع الجهم بن صفوان سلبوا الإنسان قدرته واختياره فقد ادعوا أنه لا قدرة للعبد ولا اختيار له في أفعاله؛ فهو مجبور على فعله، وهو كالريشة المعلقة في الهواء تقلبها الريح كيفما تشاء، وإسناد الفعل إلى الإنسان يُعد مجازاً، كما يقال: سقط الحجر، وتحرك الغصن، وأثمرت الشجرة، وطلعت الشمس؛ لأن الفعل كما يدعون فعل الله تعالى أجراه على يد العبد بدون إرادة أو اختيار منه.

ب – والقدرية قالوا: لا قدر والأمر أُنف، والمعتزلة يرون أن أفعال العباد إنما هي بقدرة أودعها الله فيهم.

ج – والأشاعرة ومن تبعهم يرون أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وكسب من العبد.

د – والماتريدية مذهبهم قريب من مذهب الأشاعرة في هذه المسألة.

إلا أن هناك فروقاً بسيطة بين الفريقين تتمثل فيما يلي:

أولاً: قدرة العبد على الفعل عند الأشاعرة مقارنة للفعل؛ أي مع الفعل، أما عند الماتريدية فهي تأتي عند الفعل وقبله.

ثانياً: القدرة عند الأشاعرة لمقدور واحد فقط. أما عند الماتريدية فالقدرة تصلح للضدين.

ثالثاً: هذه القدرة لا أثر لها عند الأشاعرة، أما عند الماتريدية فهي حرة مختارة.

هـ – والسلف يرون كذلك أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وكسب من العبد بقدرة أودعها الله فيه؛ لكن هذا لا ينافي أن للعبد اختيار ومشيئة، والله خالقه وخالق اختياره ومشيئته. يراجع: الفرق بين الفرق – عبد القاهر البغدادي – صـ١٩٩ – دار الآفاق الجديدة – بيروت – الطبعة الثانية – ١٩٧٧م، والتمهيد في أصول الدين – أو التمهيد لقواعد التوحيد – لأبي المعين النسفي – بتحقيق الشيخ محمد عبدالرحمن الشاغول – صـ٩٣،٩٤– المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة، وشفاء العليل – لابن قيم الجوزية – تحقيق محمد بدر الدين النعساني – صـ١٤٦ – دار الفكر – بيروت – لبنان – ١٣٩٨هـ.

(٢) رسالة التوحيد – صـ٥٩.

ثم يقول: "فالمؤمن كما يشهد بالدليل وبالعيان أن قدرة مكون الكائنات أسمى من قوى الممكنات. ويشهد بالبداهة أنه في أعماله الاختيارية عقلية كانت أو جسمانية قائم بتصريف ما وهب الله له من المدارك والقوى فيما خلقت لأجله، وقد عرف القوم شكر الله على نعمه؛ فقالوا: هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خلق لأجله.

على هذا قامت الشرائع وبه استقامت التكاليف. ومن أنكر شيئاً منه قد أنكر مكان الإيمان من نفسه، وهو عقله الذى شرفه الله بالخطاب في أوامره ونواهيه"[١].

ويبين بعد ذلك أن البحث في مسألة أفعال العباد من ناحية التوفيق بين علم الله وإرادته وبين عمل الإرادة الإنسانية الحرة هي من الأمور التي لن تستطيع العقول أن تصل فيها إلى نتيجة؛ حيث يقول: "أما البحث فيما وراء ذلك من التوفيق بين ما قام عليه الدليل من إحاطة علم الله وإرادته، وبين ما تشهد به البداهة من عمل المختار فيما وقع عليه الاختيار؛ فهو من طلب سر القدر الذى نهينا عن الخوض فيه، واشتغال بما لا تكاد تصل العقول إليه، وقد خاض فيه الغالون من كل ملة خصوصاً من المسيحيين والمسلمين، ثم لم يزالوا بعد طول الجدال وقوفاً حيث ابتدأوا، وغاية ما فعلوا أن فرقوا وشتتوا، فمنهم القائل بسلطة العبد على جميع أفعاله واستقلالها المطلق وهو غرور ظاهر، ومنهم من قال بالجبر وصرح به، ومنهم من قال به وتبرأ من اسمه، وهو هدم للشريعة، ومحو للتكاليف، وإبطال لحكم العقل البديهي وهو عماد الإيمان"[٢].

ويقرر الشيخ محمد عبده أمرين مهمين عظيمين من وجهة نظره أنهما ركنا السعادة وقوام الأعمال البشرية ألا وهما: أولهما: أن العبد يكسب بإرادته وقدرته ما هو وسيلة لسعادته، والثاني: أن قدرة الله هي مرجع لجميع الكائنات، وأن من أثارها ما

(١) رسالة التوحيد – صـ٦٠.

(٢) المرجع السابق – صـ٦١.

يحول بين العبد وبين إنفاذ ما يريده وأن لا شيء سوى الله يمكن له أن يمد العبد بالمعونة فيما لم يبلغه كسبه(١).

ومن الملاحظ هنا أن الشيخ محمد عبده يذهب إلى رأي الأشاعرة في مسألة أفعال العباد لاسيما بقولهم بنظرية الكسب.

ثم رد على من ادعى أن كسب العبد لأفعاله يؤدي إلى الشرك؛ قائلاً: "ودعوى أن الاعتقاد بكسب العبد لأفعاله يؤدى إلى الإشراك بالله – وهو الظلم العظيم – دعوى من لم يلتفت إلى معنى الإشراك على ما جاء به الكتاب والسنة؛ فالإشراك اعتقاد أن لغير الله أثراً فوق ما وهبه الله من الأسباب الظاهرة، وأن لشيء من الأشياء سلطاناً على ما خرج عن قدرة المخلوقين، وهو اعتقاد من يعظم سوى الله مستعيناً به فيما لا يقدر العبد عليه؛ كالاستنصار في الحرب بغير قوة الجيوش، والاستشفاء من الأمراض بغير الأدوية التي هدانا الله إليها، والاستعانة على السعادة الأخروية أو الدنيوية بغير الطرق والسنن التي شرعها الله لنا هذا هو الشرك الذى كان عليه الوثنيون ومن ماثلهم"(٢).

وفي نهاية المسألة يرى أن علم الله تعالى بعمل العبد الاختياري ليس ملزماً للعبد ولا يُعد جبراً له على الفعل؛ إذ يقول: "علم الواجب محيط بما يقع من الإنسان بإرادته وبأن عمل كذا يصدر في وقت كذا وهو خير يثاب عليه، وأن عملا آخر شر. يعاقب عليه عقاب الشر. والأعمال في جميع الأحوال حاصلة عن الكسب والاختيار فلا شيء في العلم بسالب للتخيير في الكسب، وكون ما في العلم يقع لا محالة إنما جاء من حيث هو الواقع والواقع لا يتبدل"(٣).

---

(١) نفس المرجع – صـ٦٢.

(٢) رسالة التوحيد – صـ٦١،٦٢.

(٣) المرجع السابق – صـ٦٤.

ويضرب مثالاً لذلك بـ "شخص من أهل العناد يعلم علم اليقين أن عصيانه لأميره باختياره يحل عقوبته لا محال؛ لكنه مع ذلك يعمل العمل ويستقبل العقوبة وليس لشيء من علمه وانطباقه على الواقع أدنى أثر في اختياره لا بالمنع ولا بالإلزام فانكشاف الواقع للعالم لا يصح في نظر العقل ملزماً ولا مانعاً وإنما يريك الوهم تغيير العبارات وتشعب

الألفاظ"[١].

مسألة التحسين والتقبيح:

إن مسألة التحسين والتقبيح من المسائل المهمة التي أثارتها واختلفت فيها بعض الفرق الإسلامية.[٢] ولقد عرج عليها الشيخ محمد عبده فذكر: "أن الحسن ما كان أدوم فائدة وإن كان مؤلماً في الحال، وأن القبيح ما جر إلى فساد في النظام الخاص بالشخص أو الشامل له ولمن يتصل به وإن عظمت لذته الحاضرة"[٣].

ثم تحدث عن العقل البشري وبين مدى قصوره، وأنه بحاجة – في قيادة القوى الإدراكية والبدنية إلى ما هو خير له في الحياتين – إلى معين يستعين به في تحديد أحكام الأعمال وتعيين الوجه في الاعتقاد بصفات الألوهية ومعرفة ما ينبغي أن يعرف

---

(١) نفس المرجع والصفحة.

(٢) من أبرز هؤلاء: المعتزلة الذين يرون أن الحسن ما حسنه العقل والقبيح ما قبحه العقل؛ فجهة تحسين الفعل وتقبيحه عندهم هو العقل لا الشرع، يقول القاضي عبدالجبار: "وجوب المصلحة وقبح المفسدة متقرران في العقل". ينظر: شرح الأصول الخمسة– صـ٥٦٥.
والأشاعرة الذين قالوا: إن الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع؛ فجهة تحسين الفعل وتقبيحه عندهم هو الشرع لا العقل، يقول عضد الدين الإيجي (ت٧٥٦هـ): "القبيح ما نهي عنه شرعاً، والحسن بخلافه، ولا حكم للعقل في حسن الأشياء وقبحها، وليس ذلك عائداً إلى أمر حقيقي في الفعل يكشف عنه الشرع، بل الشرع هو المثبت له والمبين، ولو عكس القضية فحسن ما قبحه وقبح ما حسنه لم يكن ممتنعاً وانقلب الأمر". ينظر: المواقف في علم الكلام – للقاضي عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجي – صـ٣٢٣ – عالم الكتب – بيروت.
والسلف الذين ذهبوا إلى أن الحسن والقبيح منه ما يعلم بالعقل ومنه ما يعلم بالشرع؛ يقول ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): "والعقلاء متفقون على كون بعض الأفعال ملائماً للإنسان، وبعضها منافياً له، إذا قيل هذا حسن وهذا قبيح؛ فهذا الحسن والقبح مما يعلم بالعقل...ولا ريب أن من أنواعه ما لا يعلم إلا بالشرع، ولكن النزاع فيما قبحه معلوم لعموم الخلق، كالظلم والكذب ونحو ذلك". ينظر: مجموع الفتاوى – لابن تيمية – المجلد الثامن – صـ١٨٦.

(٣) رسالة التوحيد – صـ٧٦.

من أحوال الآخرة، وبالجملة في وسائل السعادة في الدنيا والآخرة...وذلك المعين هو النبي؛ فالنبوة تحدد ما ينبغي أن يلحظ في جانب واجب الوجود من الصفات، وما يحتاج إليه البشر كافة من ذلك...كما تحدد أنواع الأعمال التي تناط بها سعادة الإنسان في الدارين[١].



(١) المرجع السابق – صـ٧٩ وما بعدها.

المبحث السابع

جواز رؤية اللّه تعالى في الآخرة

من المسائل المهمة والتي تُعد من أجلَ وأشرف المسائل في أصول الدين مسألة رؤية الله تعالى في الآخرة، وهي مما وقع فيه خلاف بين مفكري الإسلام، وتبلور هذا الخلاف بين الأشاعرة[١] ومن تبعهم ممن جوز رؤية الله تعالى يوم القيامة وإمكان وقوعها للمؤمنين[٢]، وبين المعتزلة[٣] ومن آل مآلهم ممن قال بعدم جواز رؤية الله تعالى يوم القيامة وعدم إمكان وقوعها.

وقد تحدث عنها الشيخ محمد عبده، والموقف الذي تبناه في هذه المسألة ويدافع عنه يقوم على التأكيد بأن رؤية الله لا تكون على المألوف والمعهود مما جرت عليه العادة كما هو في الحياة الدنيا؛ أي بواسطة العين الباصرة التي تتلقى الأشعة من الجسم المرئي أو المقابل لها؛ بل هي رؤية بلا كيفية ولا حد، ومن ثم لا يعلم حقيقة هذه الرؤية إلا الله عز وجل.

يقول الشيخ محمد عبده عن الخلاف حول رؤية الله تعالى في الآخرة: "اشتد فيها النزاع ثم انتهى إلى وفاق بين المنزهين لا مجال معه للتنازع؛ فإن القائلين بجواز الرؤية من أهل التنزيه متفقون على أن الرؤية لا تكون على المعهود من رؤية البصر المعروفة لنا في مجرى العادة؛ بل هي رؤية لا كيف فيها ولا تحديد ومثلها لا يكون إلا ببصر

---

(١) للرجوع إلى أقوال هذا الرأي وأدلتهم ينظر على سبيل المثال: الإبانة عن أصول الديانة – للأشعري – ص١٨ وما بعدها، والتوحيد – للماتريدي – صـ١٤١ وما بعدها، والاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة – للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي – بتحقيق أبي الفضل عبدالله الغماري – صـ٤٥ وما بعدها – دار العهد الجديد للطباعة – ١٣٧٩هـ – ١٩٥٩م، وكتاب التمهيد – للباقلاني – صـ٢٦٥ وما بعدها، والتمهيد في أصول الدين – لأبي المعين النسفي – صـ٦٤ وما بعدها.

(٢) على أنه ينبغي الإشارة إلى أن هناك فريقاً ممن جوزوا رؤية الله يوم القيامة – كالمشبهة والمجسمة ومن نحا نحوهما – تجاوزوا الحد لاعتقادهم كون الله تعالى في جهة أو مكان، وهذا مخالف لما عليه القرآن والسنة وإجماع الأمة ومعتقد أهل الحق.

(٣) للرجوع إلى أقوال هذا الرأي وأدلتهم ينظر على سبيل المثال: شرح الأصول الخمسة – للقاضي عبدالجبار – صـ٢٣٢ وما بعدها، المعتمد في أصول الدين – للإمام ركن الدين محمود بن محمد الملاحمي الخوارزمي – بتحقيق مارتن مكدرمت، وويلفرد ماديلونغ – ج٣– صـ٣٥٩ – دار الهدى – لندن.

يختص الله به أهل الدار الآخرة، أو تتغير فيه خاصته المعهودة في الحياة الدنيا، وهو مالا يمكننا معرفته وإن كنا نصدق بوقوعه متى صح الخبر، والمنكرون لجوازها لم ينكروا انكشافاً يساويها؛ فسواء كان ذلك بالبصر الغير المعهود أو بحاسة أخرى فهو في المعنى يرجع إلى قول خصومهم؛ ولكن مُني الإسلام بقوم يحبون الخلاف والله فوق ما يظنون"[١].

والملاحظ هنا أن الشيخ – وكعادته في رسالة التوحيد – يحاول التوفيق والتقريب بين أهل القبلة من المسلمين؛ محاولاً تحرير محل النزاع فيما بينهم؛ لقناعته بأن التوفيق والتقريب هما الهدف الرئيس والمطلب الأساس الذي ينبغي أن تكون عليه الأمة الإسلامية؛ فهو لا يريد تفرقاً أو تشرذماً بين المسلمين، وهذا يحمد له إذ كان ما يسعى إليه وينشده وينادي به هو الدعوة إلى الوحدة الإسلامية.

والمعتقد الصحيح في هذه المسألة هو مذهب الأشاعرة ومن تبعهم من القول بجواز وإمكان رؤية الله يوم القيامة لعباده المؤمنين؛ وهو ما يؤيده القرآن الكريم والسُنة النبوية وما عليه إجماع الأمة.

قال تعالى: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)[٢]، وقال عز وجل: (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ).[٣] وجُل أهل العلم على أن المراد بالحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم[٤].

---

(١) رسالة التوحيد – صـ٢٠٣،٢٠٤.

(٢) سورة القيامة – الآيتان ٢٢-٢٣.

(٣) سورة يونس – الآية ٢٦.

(٤) ينظر على سبيل المثال: جامع البيان عن تأويل القرآن–لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري–تحقيق د.عبدالله التركي–جـ١٢–صـ١٥٦–ط هجر–القاهرة–الطبعة الأولى–١٤٢٢هـ–٢٠٠١م، والجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وأحكام الفرقان–لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي–بتحقيق د. عبدالله التركي وآخرين–جـ١٠–صـ٤٨٢–ط مؤسسة الرسالة–بيروت–لبنان–الطبعة الأولى–١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.



وفي الحديث النبوي الشريف عن جرير بن عبدالله – رضي الله عنه – قال: خرج علينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لَيْلَةَ البَدْرِ، فقال: (إنكم سترون ربكم يوم القيامة، كما ترون هذا، لا تُضَامُونَ[1] في رؤيته...الحديث). [2]

وأجمع سلف الأمة وأئمتها وعلماؤها على جواز رؤية الله تعالى وإمكان وقوعها للمؤمنين في الآخرة.



---

(١)(تُضامُّونَ) بضم التاء وتشديد الميم: بمعنى نفي الازدحام والاختلاف، وروي (تُضامُونَ) بضم التاء وتخفيف الميم، بمعنى لا يحصل لكم ظلم ولا تعب حينئذ، وروي (تَضامُّونَ) بفتح التاء وتشديد الميم، بمعنى لا ينضم بعضكم إلى بعض وقت النظر والرؤية.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه – جـ١ –كتاب مواقيت الصلاة – باب فضل صلاة العصر – حديث رقم ٥٢٩ – صـ٢٠٣.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، وبعد الانتهاء من هذا البحث؛ فقد توصل الباحث إلى جملة من النتائج، أهمها ما يأتي:

١. إن رسالة التوحيد تُعد من أهم وأبرز مؤلفات الشيخ محمد عبده، ومن خلالها يتبين أنه صاحب خلفية دينية واسعة ومتميزة، وفكر كلامي مستنير.
٢. من الملاحظ أن الشيخ محمد عبده في رسالته قد عُني عناية كبيرة وفائقة بالجانب الإلهي؛ لكونه يحتل مكانة بارزة وكبيرة في فكره.
٣. عرف الشيخ محمد عبده التوحيد بأنه: اعتقاد أن الله واحد لا شريك له.
٤. إن الغاية من علم التوحيد هو معرفة الله تعالى بصفاته الواجب ثبوتها له مع تنزيهه عما يستحيل اتصافه به، والتصديق برسله وفق ما أرشدنا إليه الكتاب.
٥. إن المعلوم ينقسم ثلاثة أقسام: ممكن لذاته، وواجب لذاته، ومستحيل لذاته.
٦. اهتم الشيخ محمد عبده بإثبات وجود الله عز وجل؛ مستدلاً على ذلك بأدلة؛ مثل: دليل الفطرة، ودليل الممكن والواجب.
٧. آمن الشيخ محمد عبده بالصفات الإلهية الوارد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية.
٨. قسم الصفات تقسيماً جديداً مغايراً لمن سبقوه من علماء الكلام، وطرح رؤية جديدة في نظرته للصفات لم تكن معهودة من قبل.
٩. يؤكد الشيخ محمد عبده على أن أفعال الله صادرة عن علمه وإرادته واختياره.
١٠. معتقد الشيخ محمد عبده في مسألة أفعال العباد أن العبد يكسب بإرادته وقدرته أفعاله الحرة، وأن قدرة الله هي مرجع لجميع الكائنات، وأن البحث في هذه المسألة من ناحية التوفيق بين علم الله وإرادته وبين عمل الإرادة الإنسانية الحرة يُعد من الأمور التي لن تستطيع العقول أن تصل فيها إلى نتيجة.



١١. إن علم الله تعالى بعمل العبد الاختياري ليس ملزماً للعبد ولا يُعد جبراً له على الفعل.

١٢. في مسألة الحسن والقبيح يرى حاجة العقل البشري إلى معين يستعين به في تحديد أحكام الأعمال وتعيين الوجه في الاعتقاد بصفات الألوهية ومعرفة ما ينبغي أن يعرف من أحوال الآخرة، وبالجملة في وسائل السعادة في الدنيا والآخرة، وذلك المعين هو النبي.

١٣. قال بجواز رؤية الله تعالى في الآخرة، وذكر أنها رؤية بلا كيفية ولا حد، ومن ثم لا يعلم حقيقة هذه الرؤية إلا الله عز وجل؛ محاولاً التوفيق والتقريب بين أهل القبلة من المسلمين في هذه المسألة.

والله أسأل أن يوفقنا لما فيه الخير والنفع، ويغفر للشيخ محمد عبده ويجزيه خير الجزاء على ما قدم للإسلام والمسلمين.

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المصادر والمراجع

القرآن الكريم – كتاب الله تعالى.

١. الإبانة عن أصول الديانة – للشيخ أبي الحس الأشعري – بتحقيق د. فوقية حسين محمود – دار الأنصار – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٣٧٩هـ – ١٩٧٧م.

٢. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد – لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني – بتحقيق د. أحمد السايح، والمستشار توفيق علي وهبة – الناشر مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

٣. الأزهر في ألف عام – د. محمد عبدالمنعم خفاجي، د. علي علي صبح – المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة – ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٩م.

٤. الإشارات والتنبيهات – للشيخ الرئيس أبي علي ابن سينا – مع الشرح للمحقق نصير الدين الطوسي – وشرح الشرح للعلامة قطب الدين محمد بن أبي جعفر الرازي – ط مطبعة القدس – قم – الناشر نشر البلاغة – قم – سوق القدس – إيران – الطبعة الثانية،

٥. الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة – للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي – بتحقيق أبي الفضل عبدالله الغماري – دار العهد الجديد للطباعة – ١٣٧٩هـ – ١٩٥٩م.

٦. الأعلام – خير الدين الزركلي – ط دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – الطبعة الخامسة عشرة – ٢٠٠٢م.

٧. الأعمال الكاملة للشيخ الإمام محمد عبده – تحقيق وتقديم د. محمد عمارة – ط دار الشروق – الطبعة الأولى – ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٨. الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين – د. محمد عمارة – ط دار الشروق – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٩. البداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين – للإمام نور الدين الصابوني – تحقيق د. فتح الله خليف – ط دار المعارف – مصر – ١٩٦٩م.

١٠. البراهين القاطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة - محمد جعفر الأستراباذي المعروف بـ"شريعتمدار" - مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية - قسم إحياء التراث الإسلامي - الناشر مؤسسة بوستان كتاب قم - مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي - الطبعة الأولى - ١٤٢٤هـ.
١١. تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده - جمعه الشيخ محمد رشيد رضا - ط دار الفضيلة - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٢. الترغيب والترهيب - للإمام الحافظ أبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني - اعتنى به أيمن بن صالح - دار الحديث - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
١٣. التعاريف - محمد عبد الرؤوف المناوي- دار الفكر المعاصر - بيروت - دمشق - الطبعة الأولى - ١٤١٠هـ.
١٤. التعريفات - للعلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني - مكتبة لبنان - بيروت - لبنان - ١٩٨٥م.
١٥. التعليقات الدواني على جوهرة اللقاني جوهرة التوحيد - للعلامة شهاب الدين النفراوي المالكي - إعداد زياد حبوب - مجالس المذاهب.
١٦. التعليقات على شرح الدواني للعقائد العضدية - للسيد جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده - إعداد وتقديم: سيد هادي خسرو شاهي - مكتبة الشروق الدولية - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.
١٧. تعليقات جديدة من الحواشي المعتبرة لأبي القاسم محمد إلياس الغجراتي على شرح العقائد النسفية للعلامة سعد الدين التفتازاني - الناشر إدارة الصديق- دابيل - غجرات - الهند - ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.
١٨. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب - للإمام فخر الدين الرازي - ط دار الفكر - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٠١هـ. ١٩٨١م.

١٩. تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار – الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا – ط دار المنار – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٣٦٦ – ١٩٤٧م.

٢٠. التفسير ورجاله – الشيخ محمد الطاهر بن عاشور – الأزهر – مجمع البحوث الإسلامية – السنة الثانية – الكتاب الثالث عشر – ربيع الأول ١٣٩٠هـ – مايو ١٩٧٠م.

٢١. التمهيد – للإمام القاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني – عني بتصحيحه الأب ريتشارد يوسف مكارثي اليسوعي – المكتبة الشرقية – بيروت – ١٩٥٧م.

٢٢. التمهيد في أصول الدين – أو التمهيد لقواعد التوحيد – لأبي المعين النسفي – بتحقيق الشيخ محمد عبدالرحمن الشاغول – الناشر المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة.

٢٣. التوحيد – للإمام أبي منصور الماتريدي – تحقيق: د. بكر طوبال أوغلي، د. محمد آروشي – ط دار صادر بيروت – مكتبة الإرشاد – استنابول – المكتبة الشاذلية في باكستان.

٢٤. الثمرة المرضية في بعض الرسالات الفارابية – رسالة عيون المسائل – ط ليدن – ١٩٨٠م.

٢٥. جامع البيان عن تأويل القرآن – لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري – تحقيق د. عبدالله التركي – ط هجر – القاهرة – الطبعة الأولى –١٤٢٢هـ –٢٠٠١م.

٢٦. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وأحكام الفرقان–لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي–بتحقيق د. عبدالله التركي وآخرين–ط مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى –١٤٢٧هـ –٢٠٠٦ م.

٢٧. حاشية العلامة الشيخ إبراهيم البيجوري على جوهرة التوحيد– تحقيق د. علي جمعة – ط دار السلام – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٢٨. حاشية العلامة الشيخ إبراهيم البيجوري على متن السنوسية – وبهامشها تقرير العلامة الشمس الأنبابي – ط المطبعة العامرة المليجية – القاهرة – ١٣٢٣هـ.

٢٩. حاشية على شرح الخريدة البهية – للعلامة الشيخ أحمد الصاوي – وبهامشه شرح الخريدة البهية – للعلامة الشيخ أبي البركات أحمد الدردير – ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – القاهرة – ١٣٦٦هـ – ١٩٤٧م.

٣٠. رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده – د. عثمان أمين – المجلس الأعلى للثقافة – ط الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية – القاهرة.

٣١. رسالة التوحيد – الشيخ محمد عبده – بتعليق الشيخ محمد رشيد رضا – دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة – الطبعة الرابعة عشرة – ١٣٧١م.

٣٢. رسالة الواردات في نظريات المتكلمين والصوفية في الفلسفة الإلهية – الشيخ محمد عبده – ط مطبعة المنار – مصر – الطبعة الثانية – ١٣٤٤هـ – ١٩٢٥م.

٣٣. رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب – للشيخ أبي الحس الأشعري – بتحقيق عبدالله شاكر محمد الجنيدي – مركز البحث العلمي وإحياء التراث – المجلس العلمي – الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – المملكة العربية السعودية – ١٤١٣هـ.

٣٤. رسالة في إثبات الواجب – العلامة الدواني – تحقيق/ محمد أكرم أبو غوش – دار النور المبين للدراسات والنشر – الأردن – الطبعة الأولى – ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

٣٥. شرح الأصول الخمسة – للقاضي عبدالجبار – بتعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم – حققه وقدم له د. عبدالكريم عثمان – الناشر مكتبة وهبة – القاهرة – الطبعة الثالثة – ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

٣٦. شرح العقيدة الأصفهانية – ابن تيمية – الناشر مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٣٧. شرح العلامة أبي عبدالله محمد بن يوسف بن عمر السنوسي الحسني المسمى بعمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى –مطبعة جريدة الإسلام بمصر – ١٣١٦هـ.

٣٨. شرح الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة – شرحه الإمام أبو منصور الماتريدي – عني بطبعه ومراجعته عبدالله بن إبراهيم الأنصاري – طبع على نفقة الشؤون الدينية – قطر.

٣٩. شرح كتاب النجاة لابن سينا – قسم الإلهيات – لفخر الدين الإسفراييني النيسابوري – تقديم وتحقيق د. حامد ناجي أصفهاني – دانشكاه – طهران. ١٣٨٣هـ.

٤٠. شرح المواقف للقاضي عضد الدين الإيجي – العلامة السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني – ومعه حاشيتا السيالكوتي والجلبي على شرح المواقف – ضبطه وصححه محمود عمر الدمياطي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٤١. شرح الناظم على الجوهرة – وهو الشرح الصغير المسمى هداية المريد لجوهرة التوحيد – للعلامة برهان الدين إبراهيم اللقاني – ط دار البصائر – القاهرة – ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٩م.

٤٢. شرح جوهرة التوحيد – للشيخ عبدالسلام بن إبراهيم اللقاني – ط مطبعة السعادة بمصر – الطبعة الثانية – ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م.

٤٣. الشيخ محمد عبده مفكراً عربياً ورائد الإصلاح الديني والاجتماعي – بحوث ودراسات عن حياته وأفكاره – ط المجلس الأعلى للثقافة.

٤٤. شعب الإيمان – للإمام أبي بكر بن الحسن البيهقي – بتحقيق أبي هاجر محمد السعيد – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٤٥. شفاء العليل – لابن قيم الجوزية – تحقيق محمد بدر الدين النعساني – دار الفكر – بيروت – لبنان – ١٣٩٨هـ.

٤٦. صحيح البخاري المسمى بـ: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه – للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري – تحقيق د. مصطفى ديب البغا – دار ابن كثير – بيروت – لبنان – الطبعة الرابعة – ١٤١٠هـ.

٤٧. صحيح مسلم المسمى بـ: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – للإمام مسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري – تحقيق د. محمد فؤاد عبد الباقي – دار ابن حزم – الطبعة الأولى – ١٤١٦هـ.

٤٨. عبقري الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده – أ. محمود عباس العقاد – مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة.

٤٩. العقيدة المحمدية – الشيخ محمد عبده – ط مطبعة المنار – مصر – الطبعة الثانية – ١٣٤٤هـ – ١٩٢٥م.

٥٠. غاية المرام في علم الكلام – للإمام سيف الدين الآمدي – تحقيق حسن محمود عبداللطيف – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – الكتاب الرابع والعشرون – القاهرة – ١٣٩١هـ – ١٩٧١م.

٥١. الفرق بين الفرق – عبد القاهر البغدادي – دار الآفاق الجديدة – بيروت – الطبعة الثانية – ١٩٧٧م.

٥٢. الفرق بين نوعي العلم الإلهي والكلام – الإمام سراج الدين الأرموي.

٥٣. الفصل في الملل والأهواء والنحل – للإمام ابن حزم الظاهري – وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني – مكتبة السلام العالمية – القاهرة.

٥٤. الفصول في الأصول – أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي – وزارة الأوقاف الكويتية – ١٤١٤ هـ – ١٤٩٤م.

٥٥. القاموس الجغرافي للبلاد المصرية – من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م – محمد رمزي – القسم الثاني – البلاد الجالية – جـ٢ – مديريات الغربية والمنوفية والبحيرة – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٤م.

٥٦. القول الفصل شرح الفقه الأكبر للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان – شرحه محيي الدين محمد بن بهاء الدين – مكتبة الحقيقة – استانبول – تركيا – ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

٥٧. القول المفيد على الرسالة المسماة وسيلة العبيد في علم التوحيد – الشيخ محمد بخيت المطيعي – ط المطبعة الخيرية – الطبعة الأولى – ١٣٢٦هـ.

٥٨. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم– للعلامة محمد علي التهانوي – تحقيق د. علي دحروج – مكتبة لبنان – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٩٩٦م.

٥٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل – للعلامة جار الله أبس القاسم محمود بن عمر الزمخشري – بتحقيق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، وآخرين – جـ٤ – صـ١٣٦،١٣٧ – مكتبة العبيكان – الرياض – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى – ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

٦٠. الكليات – معجم في المصطلحات والفروق اللغوية – لأبي البقاء أيوب بن وموسى الحسيني الكفوي – ط مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٦١. لسان العرب – للعلامة ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبي الفضل المصري – ط دار صادر – بيروت – لبنان.

٦٢. اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع – الإمام أبو الحسن الأشعري – صححه وعلق عليه: د. حمودة غرابة –ط مطبعة مصر –١٩٥٥م.

٦٣. المباحث العقلية في شرح معاني العقيدة البرهانية لأبي عمرو عثمان بن عبدالله السلالجي – أبو الحسن علي بن عبدالرحمن اليفرني – تحقيق د. جمال علال البختي – سلسلة ذخائر من التراث الأشعري المغربي (٧) – الرابطة المحمدية للعلماء – مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية – المملكة المغربية.



٦٤. مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري – من إملاء الشيخ الإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك – عني بتحقيقه دانيال جيماريه – دار المشرق – بيروت – لبنان – المطبعة الكاثوليكية – ١٩٨٧م.

٦٥. مجموع الفتاوى – لابن تيمية – بتحقيق أنور الباز، وعامر الجزار – ط دار الوفاء – المنصورة – الطبعة الثالثة – ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٦٦. محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين – للإمام فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة.

٦٧. مختصر الاعتقاد للإمام البيهقي – تأليف الإمام عبدالوهاب الشعراني – قدم له د. جودة محمد أبواليزيد المهدي – دراسة وتحقيق يوسف رضوان الكود – دارة الكرز – القاهرة – الطبعة الأولى – ٢٠٠٨م.

٦٨. المختصر في أصول الدين – للقاضي عبدالجبار – تحقيق د. محمد عمارة.

٦٩. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي – للعلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي – تحقيق د. عبدالعظيم الشناوي – ط دار المعارف – القاهرة – الطبعة الثانية.

٧٠. المعتقد المنتقد للعلامة فضل الرسول القادري البركاتي البدايوني – مع شرحه المسمى المستند المعتمد بناء نجاة الأبد للعلامة أحمد رضا القادري البركاتي البريلوي – ويليهما حدوث الفتن وجهاد أعيان السنن للعلامة محمد أحمد الأعظمي المصباحي – الناشر رضا أكاديمي – مومباي – الهند – الطبعة الأولى – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٧١. المعتمد في أصول الدين – للإمام ركن الدين محمود بن محمد الملاحمي الخوارزمي – بتحقيق مارتن مكدرمت، وويلفرد ماديلونغ – دار الهدى – لندن.

٧٢. المعجم الأوسط – للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني – بتحقيق قسم التحقيق بدار الحرمين – الناشر دار الحرمين – القاهرة – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٧٣. المعجم الفلسفي – د. جميل صليبا – دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة – بيروت – لبنان – ١٩٨٢م.



٧٤. معجم المؤلفين – عمر رضا كحالة – ط مؤسسة الرسالة – بيروت.
٧٥. معجم متن اللغة – الشيخ أحمد رضا – دار مكتبة الحياة – بيروت – ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م.
٧٦. معجم مقاييس اللغة – لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا – تحقيق د. عبدالسلام محمد هارون – ط دار الفكر العربي.
٧٧. المعجم الوسيط – ط مكتبة الشروق الدولية – الطبعة الرابعة – ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
٧٨. المغني في أبواب العدل والتوحيد – للقاضي عبدالجبار – بتحقيق الأب جورج قنواتي – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر – ١٩٦٣م.
٧٩. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة – للعلامة الشيخ محمد عبدالرحمن السخاوي – دراسة وتحقيق د. محمد عثمان الخشت – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
٨٠. منهاج السنة النبوية – لابن تيمية – بتحقيق د. محمد رشاد سالم – مؤسسة قرطبة – الطبعة الأولى – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
٨١. المواقف في علم الكلام – للقاضي عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجي – عالم الكتب – بيروت.
٨٢. موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي – د. سميح دغيم – مكتبة لبنان – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٩٩٨م.
٨٣. الموسوعة الحرة ويكيبيديا – https://ar.wikipedia.org/wiki/ .
٨٤. النبراس شرح شرح العقائد – العلامة محمد عبدالعزيز الفرهاري – ط الأستانة.
٨٥. النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية – نقحه وقدم له د. ماجد فخري – دار الآفاق الجديدة – بيروت.
٨٦. نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريدية والأشعرية في العقائد مع ذكر أدلة الفريقين – العلامة عبدالرحيم بن علي الشهير

بشيخ زاده – المطبعة الأدبية بسوق الخضار القديم بمصر – الطبعة الأولى – ١٣١٧هـ.

٨٧. النهاية في غريب الحديث والأثر – الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير – أشرف عليه وقدم له علي بن حسن بن علي بن عبدالحميد الحلبي الأثري – دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى – ١٤٢١هـ.



الفهرس